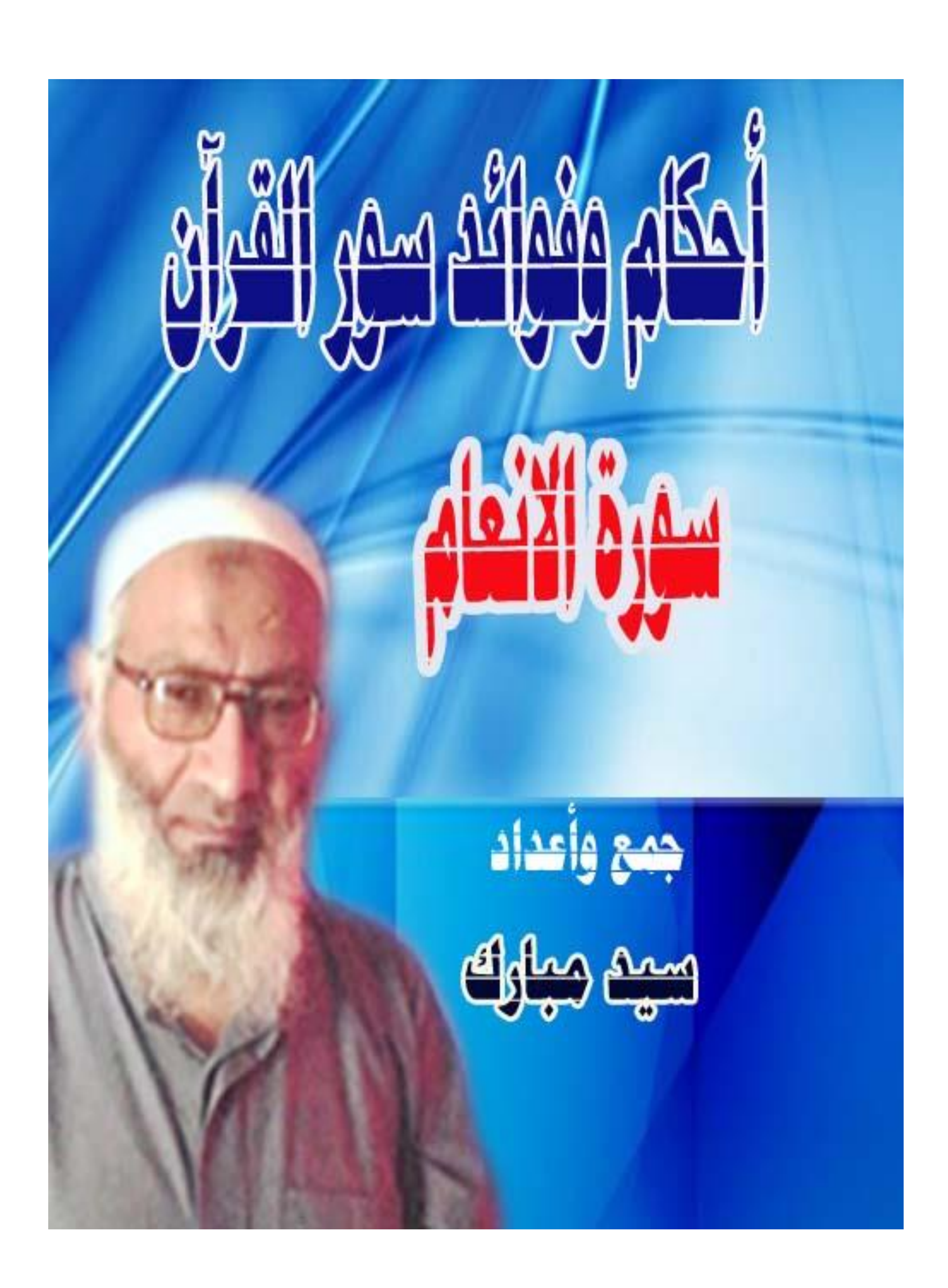
بسم الله الرحمن الرحيم



أحكام وفوائد سورة الأنعام

سورة الأنعام من السور ذات الشأن الكبير فهي تفند شبهة المعارضين لها، كما أنها مشتملة علي كثير من الأحكام والفوائد العظيمة الجمة، ونبينها تحت عناوين رئيسية وشاملة للتسهيل علي القاري الكريم في بيانها والله المستعان.

ما جاء عن الخلق والموت والملائكة

قال تعالي {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١)}

-من فوائد الآية الكريمة ما ذكره ابن تيمية-رحمه الله-قال ما مختصره: بين أنه خلق السموات والأرض وأنه خلق الظلمات والنور؛ لأن الجعل هو التصيير. يقال: جعل كذا إذا صيره فذكر أنه خلق السموات والأرض وأنه جعل الظلمات والنور لأن الظلمات والنور مجعولة من الشمس والقمر: المخلوقة في السموات؛ وليس الظلمات والنور والليل والنهار جسما قائما بنفسه ولكنه صفة وعرض قائم بغيره. " فالنور " هو شعاع الشمس وضوءها الذي ينشره الله في الهواء وعلى الأرض. وأما " الظلمة في الليل " فقد قيل: هي كذلك وقيل هي أمر وجودي فهذا الليل وهذا النهار اللذان يختلفان علينا اللذان يولج الله أحدهما في الآخر فيولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ويخلف أحدهما الآخر يتعاقبان كما قال تعالى: { إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب } وقال تعالى: { لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار }. بين سبحانه أنه جعل لكل شيء قدرا واحدا لا يتعداه. فالشمس لا ينبغي لها أن تدرك القمر وتلحقه بل لها مجرى قدره الله لها وللقمر مجرى قدره الله له كما قال تعالى: { وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون } { والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم } { والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم } ثم قال: { لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار } أي لا يفوته ويتقدم أمامه حتى يكون بينهما برزخ؛ بل هو متصل به لا هذا ينفصل عن هذا ولا هذا ينفصل عن هذا { كل في فلك يسبحون }. اهـ ([1])

قال تعالي {وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٦٠)}

قلت: هذه الآية تدل دلالة واضحة علي الموت والوفاة والبعث والحساب وأن الله تعالي خلق

---

١ --انظر مجموع الفتاوي لابن تيمية-(٥٩٨/٦) -الناشر دار الوفاء

الإنسان لأجل مسمي عنده لا يتعداه قيد أنملة كما قال تعالي { وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٣٤) }-الأعراف

ولقد وضح علمائنا الفوائد الجليلة منها نذكر هنا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-في بيان المقصود بالوفاة قبل الموت والبعث بعده ما نصه:

- فهذا توف لها بالنوم إلى أجل الموت الذي ترجع فيه إلى الله وإخبار أن الملائكة تتوفاها بالموت ثم يردون إلى الله والبدن وما يقوم به من الأعراض لا يرد إنما يرد الروح. وهو مثل قوله في يونس: { وردوا إلى الله } وقال تعالى: { إن إلى ربك الرجعى } وقال تعالى: { يا أيتها النفس المطمئنة } { ارجعي إلى ربك راضية مرضية } { فادخلي في عبادي } { وادخلي جنتي } وقال تعالى. { قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون } وتوفي الملك إنما يكون لما هو موجود قائم بنفسه؛ وإلا فالعرض القائم بغيره لا يتوفى فالحياة القائمة بالبدن لا تتوفى بل تزول وتعدم كما تعدم حركته وإدراكه. وقال تعالى في المؤمنين { حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون } { لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون } فقوله: { ارجعون } طلب لرجع النفس إلى البدن كما قال في الواقعة: { فلولا إن كنتم غير مدينين } { ترجعونها إن كنتم صادقين } وهو يبين أن النفس موجودة تفارق البدن بالموت قال تعالى: { إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون }. آخره.اهـ [٢]

---

٢ --انظر مجموع الفتاوي لابن تيمية-(٤ /٢٦٩) -الناشر دار الوفاء

قال تعالي{ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ (٦١)}

-في هذه الآية فوائد عظيمة تبين بجلاء بعض وظائف ملائكة ورسل الله تعالي ولا يغيب عن أولي الألباب أن الإيمان بالملائكة أحد أصول الإيمان ولا يكتمل إيمان المسلم، إلا بالإيمان بوجودهم ولقد وصفهم الله في كتابه بأكمل الصفات وأنهم لا يستكبرون عن عبادته، ، ولا يعصونه ويفعلون ما يؤمرون كما قال تعالي { لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } [التحريم:٦]. ومن ثم نبين هنا بعض وظائفهم كما أخبر تعالي في هذه الآية علي النحو التالي:

-قوله تعالي{ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً }

-ذكر ابن عثيمين- رحمه الله- في تفسيره ما مختصره: هؤلاء الحفظة يكتبون ما يقوم به الإنسان من قول، وما يقوم به من فعل، سواء كان ظاهراً كأقوال اللسان، وأعمال الجوارح، أو باطناً حتى ما في القلب مما يعتقده الإنسان فإنه يكتب عليه لقوله تعالى: {ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد. إذ يتلقى المتلقيان عن اليمن وعن الشمال قعيد. ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد} [ق ١٦ . ١٨]. هذا الحافظ يحفظ عمل بني آدم، وهناك حفظة آخرون ذكرهم الله في قوله: {له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله} [الرعد: ١١].اهـ (٣)

-قوله تعالي{ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ }

-قال ابن تيمية – رحمه الله–في الفتاوي بيان لحقيقة رسل الله تعالي ووظيفتها بفوائد جليلة فقال: فإن اسم الملائكة والملك يتضمن أنهم رسل الله كما قال تعالى: { جاعل الملائكة رسلا } وكما قال: { والمرسلات عرفا } فالملائكة رسل الله في تنفيذ أمره الكوني الذي يدبر به السموات والأرض كما قال تعالى: { حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون } وكما قال: { بلى ورسلنا لديهم يكتبون } وأمره الديني الذي تنزل به الملائكة فإنه قال: { ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده } وقال تعالى: { وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم } وقال تعالى: { الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس }. وملائكة الله لا يحصي عددهم إلا الله كما قال تعالى: { وما جعلنا

٣- تفسير العلامة محمد العثيمين -مصدر الكتاب: موقع العلامة العثيمين -سورة الطارق

أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك إلا هو.اهـ (٤)

ما جاء عن التوحيد والشرك

الشرك بالله تعالي الذنب العظيم الذي لا يغفره الله لصاحبه أن مات عليه وتوحيد الله تعالي وعبادته هو دعوة جميع الرسل والأنبياء لقومهم والغاية من خلق الإنسان ووجوده في دار الدنيا وفي سورة الأنعام آيات بينات تدعوا إلى التوحيد ونبذ الشرك وفيها من الفوائد والاحكام الكثير نبين بعضها هنا والله المستعان.

قال تعالي{قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٤)}

قلت: وفي هذه الآية ثلاث مواضع فيها فوائد جليلة نبينها فيما يلي:

-قوله تعالي{ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ }

-قال ابن تيمية- رحمه الله-: وقد علم بالكتاب والسنة والإجماع وبالعلوم العقلية الضرورية: إثبات غير الله تعالى وأن كل ما سواه من المخلوقات فإنه غير الله تعالى ليس هو الله ولا صفة من صفات الله. ولهذا أنكر الله على من عبد غيره – ولو لم يكن هناك غير لما صح الإنكار – قال تعالى: { قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون } وقال تعالى: { قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السماوات والأرض } وقال تعالى: { هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض } وقال تعالى: { أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا }.

وكذلك قول القائل: وجدت المحبة غير المقصود؛ لأنها لا تكون إلا من غير لغير وغير ما ثم ووجدت التوحيد غير المقصود؛ لأن التوحيد ما يكون إلا من عبد لرب ولو أنصف الناس ما رأوا عبدا ولا معبودا: هو كلام فيه من الكفر والإلحاد والتناقض ما لا يخفى.اهـ (٥)

– وأضاف ابن عثيمين مبيناً فائدة جليلة أخري من الآية قال- رحمه الله-: فهو سبحانه وتعالى له

---

٤ --انظر مجموع الفتاوي لابن تيمية-(١١٩/٤) -الناشر دار الوفاء

٥-انظر مجموع الفتاوي لابن تيمية-(٣٥٣/٢) -الناشر دار الوفاء

الغنى والجود والكرم، وهو غني عما سواه. إذا! لو سألنا: ما الحكمة من خلق الجن والإنس؟ العبادة، يعني: ما خلقوا لأجل أن يعمروا الأرض، ولا لأجل أن يأكلوا، ولا لأجل أن يشربوا، ولا لأن يتمتعوا كما تتمتع الأنعام، وإنما خلقوا لعبادة الله، وخلق لهم ما في الأرض، نحن مخلوقون للعبادة وما في الأرض مخلوق لنا: هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا [البقرة:٢٩] والعجب أن قومنا الآن اشتغلوا فيما خلق لهم عما خلقوا له، ما الذي خلق لهم؟ ما في الأرض، عما خلقوا له وهو العبادة، وهذا من السفه أن يشتغلوا بشيء خلق لهم عن شيء خلقوا من أجله.اهـ([٦])

-وقوله تعالي { قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }

-قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن فوائد ومدلول هذه الجزئية من الآية: فهو صلى الله عليه وسلم يتعلق به أمران عظيمان. " أحدهما " إثبات نبوته وصدقه فيما بلغه عن الله وهذا مختص به. و " الثاني " تصديقه فيما جاء به وأن ما جاء به من عند الله حق يجب اتباعه وهذا يجب عليه وعلى كل أحد فإنه قد يوجد فيمن يرسله المخلوق من يصدق في رسالته؛ لكنه لا يتبعها؛ إما لطعنه في المرسل وإما لكونه يعصيه وإن كان قد أرسل بحق فالملوك كثيرا ما يرسلون رسولا بكتب وغيرها يبلغ الرسل رسالتهم فيصدقون بها. ثم قد يكون الرسول أكثر مخالفة لمرسله من غيره من المرسل إليهم ولهذا ظن طائفة منهم القاضي أبو بكر أن مجرد كونه رسولا لله لا يستلزم المدح. ثم قال: إن هذا قد يقال فيمن قبل الرسالة وبلغها وفيمن لم يقبل لكن هذا غلط فإن الله لا يرسل رسولا إلا وقد اصطفاه فيبلغ رسالات ربه. ورسل الله هم أطوع الخلق لله وأعظم إيمانا بما بعثوا به بخلاف المخلوق فإنه يرسل من يكذب عليه ومن يعصيه ومن لا يعتقد وجوب طاعته والخالق منزه عن ذلك..اهـ ([٧])

---

[٦] – سلسلة لقاءات الباب المفتوح لابن عثيمين

٧–انظر مجموع الفتاوي لابن تيمية–(١٥/٩١) –الناشر دار الوفاء

قال تعالي {قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ (٥٠)}

هذه الآية الكريمة فيها فوائد نفيسة بينها علمائنا وجدير بنا أن نبين بعضها هنا ليدرك المسلمين عظمة دينهم وشريعتهم التي جمعت بين الدين والدنيا ونبينها فيما يلي:

-قوله تعالي { وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ }

-قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-: يقول لا أدعي علم الغيب إن أتبع إلا ما يوحى إلي وما أنا إلا نذير مبين أنذركم بما أمرني الله أن أنذركم به لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك وهذا من كمال صدقه وعدله وعبوديته لله وطاعته وتمييز ما يستحقه الخالق وحده مما يستحقه العبد فإن العلم بعواقب الأمور على وجه التفصيل مما استأثر الله بعلمه فلا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل وليس من شرط الرسول أن يعلم كل ما يكون وقوله تعالى {وما أدري ما يفعل بي ولا بكم} نفي لعلمه بجميع ما يفعل به وبهم وهذا لا يعلمه إلا الله.اهـ(٨)

-وذكر رحمه الله فائدة أخري من الآية ومدلولها الشرعي فقال: وخيار هذه الأمة هم الصحابة فلم يكن في الأمة أعظم اجتماعا على الهدى ودين الحق ولا أبعد عن التفرق والاختلاف منهم وكل ما يذكر عنهم مما فيه نقص فهذا إذا قيس إلى ما يوجد في غيرهم من الأمة كان قليلا من كثير وإذا قيس ما يوجد في الأمة إلى ما يوجد في سائر الأمم كان قليلا من كثير وإنما يغلط من يغلط أنه ينظر إلى السواد القليل في الثوب الأبيض ولا ينظر إلى الثوب الأسود الذي فيه بياض وهذا من الجهل والظلم بل يوزن هؤلاء بنظرائهم فيظهر الفضل والرجحان

وأما ما يقترحه كل أحد في نفسه مما لم يخلق فهذا لا اعتبار به فهذا يقترح معصوما في الأئمة وهذا يقترح ما هو كالمعصوم وإن لم يسمه معصوما فيقترح في العالم والشيخ والأمير والملك ونحو ذلك مع كثرة علمه ودينه ومحاسنه وكثرة ما فعل الله على يديه من الخير يقترح مع ذلك أن لا يكون قد خفى عليه شيء ولا يخطىء في مسألة وأن يخرج عن حد البشرية فلا يغضب بل كثير من هؤلاء يقترح فيهم مالا يقترح في الأنبياء

وقد أمر الله تعالى نوحا ومحمدا أن يقولا {لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك} سورة هود ٣١.

---

٨ – انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٨٣/٣)

فيريد الجهال من المتبوع أن يكون عالما بكل ما يسئل عنه قادرا على كل ما يطلب منه غنيا عن الحاجات البشرية كالملائكة وهذا الاقتراح من ولاة الأمر كاقتراح الخوارج في عموم الأمة أن لا يكون لأحدهم ذنب ومن كان له ذنب كان عندهم كافرا مخلدا في النار.اهـ([9])

-قوله تعالي { قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ }

-ذكر ابن عثيمين—رحمه الله– فائدة جليلة من هذه الجزئية من الآية وما في معناها عن الخطأ الفادح لمن يقول أن الإسلام دين المساواة مع أن الآية وما في معناها تنفي المساواة فقال ما مختصره:

والعجب أننا نسمع من يدندن كثيراً فيقول: إن دين الإسلام دين المساواة، وهذا غلط على دين الإسلام، فدين الإسلام ليس دين المساواة، ولكنه دين العدل، والعدل هو: إعطاء كل أحد ما يستحقه؛ ولذلك تجد أكثر ما في القرآن نفي المساواة، وليس إثباتها؛ كقوله تعالى: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ} [الرعد: ١٦]، وكقوله: {هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ} [الزمر: ٩]، وقوله: {لاَ يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ} [الحديد: ١٠] وهلم جرا.

فالقول بأن الإسلام دين المساواة في الحقيقة قد ينبني عليه مبدأ خطير، وهو:

أولاً: تسوية الذكور مع الإناث وأن تفضيل الذكور على الإناث يعتبر مخالفاً لدين الإسلام.

ثانياً: الاشتراكية، بتسوية الناس في الرزق، بحيث نأخذ من مال الغني ونعطيه الفقير؛ لأن الدين دين المساواة، ولو قالوا: الدين دين المواساة لكان صحيحاً؛ ولهذا تشرع التعازي في المصائب، وما أشبه ذلك.اهـ([10])

قال تعالي {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٥٩) }

-ذكر ابن عربي–رحمه الله —في أحكامه لهذه الآية ما مختصره وبتصرف: هذه الآية أصل من أصول عقائد المسلمين، وركن من قواعد الدين، معظمها يتفسر بها.

ثم قال– رحمه الله–قوله تعالى: { مفاتح الغيب } واحدها مفتح ومفتاح، وجمعه مفاتح ومفاتيح،

---

٩ –

١٠ – سلسلة لقاءات الباب المفتوح لابن عثيمين

وهو في اللغة عبارة عن كل معنى يحل غلقا، محسوسا كان كالقفل على البيت، أو معقولا كالنظر، والخبر يفتح قفل الجهل عن العلم والغيب.
وأضاف-رحمه الله- بعد كلام زيادة بيان عن معني مفاتيح الغيب فقال: عبارة عن متعلق لا يدرك حسا أو عقلا، وكما لا يدرك البصر ما وراء الجدار أو ما في البيت المقفل، كذلك لا تدرك البصيرة ما وراء المحسوسات الخمس، والمحسوسات منحصرة الطرق بانحصار الحواس والمعقولات لا تنحصر طرقها إلا من جهة قسمين: أحدهما: ما يدرك ببديهة النظر.
الثاني: ما يتحصل من سبيل النظر.
أما إنه له أمهات خمس وقعت الإشارة إليها وجاءت العبارة عنها بقوله تعالى { إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير }.
ثم ذكر-رحمه الله- بعد تفصيله وشرحه لهذه الأمهات الخمس التي لا يعلمها إلا الله فقال في أحكامه: مقامات الغيب الخمسة التي لا يعلمها إلا الله لا أمارة عليها، ولا علامة عليها، إلا ما أخبر به الصادق المجتبى لاطلاع الغيب من أمارات الساعة، والأربعة سواها لا أمارة عليها؛ فكل من قال: إنه ينزل الغيث غدا فهو كافر، أخبر عنه بأمارات ادعاها، أو بقول مطلق.
ومن قال: إنه يعلم ما في الرحم فهو كافر؛ فأما الأمارة على هذا فتختلف؛ فمنها كفر، ومنها تجربة، والتجربة منها أن يقول الطبيب: إذا كان الثدي الأيمن مسود الحلمة فهو ذكر، وإن كان ذلك في الثدي الأيسر فهو أنثى؛ وإن كانت المرأة تجد الجنب الأيمن أثقل فهو ذكر، وإن وجدت الجنب الأشأم أثقل فالولد أنثى، وادعى ذلك عادة لا واجبا في الخلقة لم نكفره، ولم نفسقه.
فأما من ادعى علم الكسب في مستقبل العمر فهو كافر، أو أخبر عن الكوائن الجملية أو المفصلة فيما يكون قبل أن يكون، فلا ريبة في كفره أيضا.
فأما من أخبر عن كسوف الشمس والقمر فقد قال علماؤنا: يؤدب ويسجن ولا يكفر، أما عدم تكفيره فلأن جماعة قالوا: إنه أمر يدرك بالحساب، وتقدير المنازل، حسبما أخبر الله سبحانه في قوله جل وعلا: { والقمر قدرناه منازل } فلحسابهم له، وإخبارهم عنه، وصدقهم فيه، توقفت علماؤنا عن الحكم بتكفيرهم.
وأما أدبهم فلأنهم يدخلون الشك على العامة في تعليق العلم بالغيب المستأنف ولا يدرون قدر الفرق بين هذا وغيره، فتشوش عقائدهم في الدين، وتتزلزل قواعدهم في اليقين، فأدبوا حتى يسروا ذلك إذا

عرفوه ولا يعلنوا به.اهـ([11])

قال تعالي {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ (٦٥)}

هذه الآية الكريمة من سورة الأنعام تبدأ ببيان قدرة الله —عز وجل–وعدم عجزه عن فعل ما يريد من خير أو شر يصيب به من يشاء ونبين هنا فوائد جمة عن قدرة الله تعالي بأقوال علمائنا الثقات لما في ذلك من بيان العقيدة الصحيحة عند أهل السنة والجماعة فيما يخص أسماء الله وصفاته وأفعاله —جل في علاه–التي ينبغي أن يحيط بها كل مسلم علماً وفقهاً والله المستعان وعليه التكلان.

–قال ابن عثيمين–رحمه الله–:

و "القدرة" صفة تقوم بالقادر بحيث يفعل الفعل بلا عجز؛ و"القوة" صفة تقوم بالقوي بحيث يفعل الفعل بلا ضعف؛ إذاً المقابل للقدرة: العجز؛ لقوله تعالى: {وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليماً قديراً} [فاطر: ٤٤]؛ والمقابل للقوة: الضعف، قال تعالى: {الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة} [الروم: ٥٤]؛ والفرق الثاني بينهما: أن "القوة" يوصف بها من له إرادة، وما ليس له إرادة؛ فيقال: رجل قوي؛ وحديد قوي؛ وأما "القدرة" فلا يوصف بها إلا ذو إرادة؛ فلا يقال: حديد قادر..اهـ ([12])

.–وذكر ابن عثيمين – رحمه الله–في بيانه لفوائد الآية وقدرة الله سواء في المفاسد أو المصالح في شرحه للعقيدة السفارينية ما نصه: ولكن الميزان في الأصلح أو عدمه ليست عقولنا كما تقوله المعتزلة، ولكن الميزان للأصلح والصلاح هو الواقع الذي يتبين به أن هذا الفعل الذي أجراه الله عز وجل هو الأصلح.

{ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شِيَعاً ويذيق بعضكم بأس بعض } (الأنعام ٦٥)، كل هذه في ظاهرها مفاسد ومساوئ، العذاب من فوقنا أو من تحت أرجلنا، من فوقنا صاحب من السماء، من تحتنا زلازل براكين، { أو يلبسكم شِيَعاً ويذيق بعضكم بأس بعض } (الأنعام ٦٥) يعني قتال فيما بينهم، كل هذه في ظاهرها سيئة ولكن فيها مصلحة عظيمة من أجل أنْ نتوب إلى الله ونرجع إليه حتى نتقي هذه العقوبات على أنْ

١١–انظر أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي– (٣ /٤٢٦)

١٢– تفسير العلامة محمد العثيمين –مصدر الكتاب: موقع العلامة العثيمين —دروس صوتية مفرغة

النبي صلى الله عليه وسلم: قال في الأول: { أو من تحت أرجلكم }: " أعوذ بوجهك " وفي الثانية قال: " هذه أهون أو أيسر " ([13])، ولهذا وَقَعَتْ في الأمة، الثالثة وَقَعَتْ في الأمة، أما الأول والثاني فلم تقع في الأمة على سبيل العموم، وربما يوجد في أجزاء من الأرض زلازل أو ما أشبه ذلك لكنها ليست عامة والله أعلم.اهـ([14])

-وذكر ابن القيم- رحمه الله-في كتابه " مفتاح دار السعادة " ردًا عمن يقول "نطالبكم بإظهار وجه الحسن في أصل التكليف وايجابه عقلا وشرعا" فقال: أن قدرته سبحانه على الشيء لا تنفي حكمته البالغة من وجوده فإنه تعالى يقدر على مقدورات تمنع بحكمته كقدرته على قيامه الساعة الآن وقدرته على إرسال الرسل بعد النبي صلى الله عليه وسلم وقدرته على إبقائهم بين ظهور الأمة إلى يوم القيامة وقدرته على أماتة إبليس وجنوده واراحة العالم منهم وقد ذكر سبحانه في القرآن قدرته على ما لا يفعله لحكمته في غير موضع كقوله تعالى {قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم} وقوله تعالى {وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض وأنا على ذهاب به لقادرون} وقوله{أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوي بنانه} أي نجعلها كخف البعير صفحة واحدة..ثم قال- رحمه الله-:

فهذه وغيرها مقدورات له سبحانه وانما امتنعت لكمال حكمته فهي التي اقتضت عدم وقوعها فلا يلزم من كون الشيء مقدورا أن يكون حسنا موافقا للحكمة وعلى هذا فقدرته تبارك وتعالى على ما ذكرتم لا تقتصي حسنه وموافقته لحكمته ونحن إنما نتكلم معهم في الثاني لا في الأول فالكلام في الحكمه يقتضي الحكمة.

والعناية غير الكلام في المقدور فتعلق الحكمة شيء ومتعلق القدرة شيء ولكن انتم إنما لويتم من إنكار الحكمة فلا يمكنكم التفريق بين المتعلقين بل قد اعترف سلفكم وأئمتكم بأن الحكمة لا تخرج عن صحة تعلقه بالمقدور ومطابقته لها أو تعلق العلم بالمعلوم ومطابقته له ولما بنيتم على هذا الأصل

---

١٣ - انظر صحيح سنن الترمذي للألباني برقم/٣٠٦٥ من حديث جابر بن عبد الله-رضي الله عنه-وتمامه" يقول لما نزلت هذه الآية { قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم } قال النبي صلى الله عليه وسلم أعوذ بوجهك فلما نزلت (أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض) قال النبي صلى الله عليه وسلم هاتان أهون أو هاتان أيسر"

١٤ - انظر شرح العقيدة السفارينية ص/٣١١

لم يمكنكم الفرق بين موجب الحكمة وموجب القدرة فتوعرت عليكم الطريق وألجأتم أنفسكم إلى اصعب مضيق.اهـ([15])

-وأضاف ابن تيمية فائدة أخري جليلة وحكم من أحكام الآية في حقيقة من زعم من البشر أياً كان أنه لا يستطيع فعل عكس ما هو مجبور عليه ولا أرادة له علي أفعاله ولا اختيار له مطلقاً لما قدره الله بقدرته منذ الأزل –سبحانه وتعالي–فقال –رحمه الله –: ومن حكى من أهل الكلام عن أهل السنة والجماعة أنهم يقولون: إن العبد ليس قادرا على غير ما فعل الذي هو خلاف المعلوم فإنه – مخطئ فيما نقله عنهم من نفي القدرة مطلقا وهو مصيب فيما نقله عنهم من نفي القدرة التي اختص بها الفاعل دون التارك وهذا من أصول نزاعهم في جواز تكليف ما لا يطاق. فإن من يقول الاستطاعة لا تكون إلا مع الفعل فالتارك لا استطاعة له بحال يقول: إن كل من عصى الله فقد كلفه الله ما لا يطيقه كما قد يقولون: إن جميع العباد كلفوا ما لا يطيقون. ومن يقول: إن استطاعة الفعل هي استطاعة الترك يقول: إن العباد لم يكلفوا إلا بما هم مستوون في طاقته وقدرته واستطاعته؛ لا يختص الفاعل دون التارك باستطاعة خاصة فإطلاق القول بأن العبد كلف بما لا يطيقه كإطلاق القول بأنه مجبور على أفعاله – إذ سلب القدرة في المأمور نظير إثبات الجبر في المحظور – وإطلاق القول بأن العبد قادر مستطيع على خلاف معلوم الله ومقدوره. وسلف الأمة وأئمتها ينكرون هذه الإطلاقات كلها لا سيما كل واحد من طرفي النفي والإثبات على باطل وإن كان فيه حق أيضا؛ بل الواجب إطلاق العبارات الحسنة وهي المأثورة التي جاءت بها النصوص والتفصيل في العبارات المجملة المشتبهة وكذلك الواجب نظير ذلك في سائر أبواب أصول الدين أن يجعل ما يثبت بكلام الله عز وجل ورسوله وإجماع سلف الأمة هي النص المحكم، وتجعل العبارات المحدثة المتقابلة بالنفي والإثبات المشتملة في كل من الطرفين في حق وباطل من باب المجمل المشتبه المحتاج إلى تفصيل الممنوع من إطلاق طرفيه.اهـ ([16])

قال تعالي {إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧٩)}

من فوائد هذه الآية من سورة الانعام بيان حقيقة إخلاص نية العبد وتوجهه لله وابتغاء مرضاته بعمله من عدمه وبين هذه الفوائد شيخ الإسلام ابن تيمية —رحمه الله–فقال ما مختصره وبتصرف: وهذان

١٥– انظر مفتاح دار السعادة لابن القيم –(٢/٨٤)

١٦ –انظر مجموع الفتاوي لابن تيمية–(٨ /٢٩٣) –الناشر دار الوفاء

الوصفان – وهما إسلام الوجه لله؛ والإحسان – هما الأصلان المتقدمان وهما: كون العمل خالصا لله صوابا: موافقا للسنة والشريعة. وذلك أن إسلام الوجه لله هو متضمن للقصد والنية لله؛ كما قال بعضهم:

أستغفر الله ذنبا لست محصيه * * * رب العباد إليه الوجه والعمل

ثم أضاف– رحمه الله–: إسلام الوجه؛ وإقامة الوجه؛ كقوله تعالى: { وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد }. وقوله: { فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها } وتوجيه الوجه كقول الخليل: { إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين }. وكذلك كان { النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعاء الاستفتاح في صلاته: { وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين }. وفي الصحيحين عن البراء بن عازب عن " النبي صلى الله عليه وسلم مما يقول إذا أوى إلى فراشه: اللهم أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك "(١٧). فالوجه يتناول المتوجه والمتوجه إليه ويتناول المتوجه نفسه كما يقال: أي وجه تريد ؟ أي: أي وجهة وناحية تقصد: وذلك أنهما متلازمان. فحيث توجه الإنسان توجه وجهه؛ ووجهه مستلزم لتوجهه؛ وهذا في باطنه وظاهره جميعا.اهـ (١٨)

قال تعالي {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٠١)}

في هذه الآية يبين الله تعالي أن النصاري قد ضلوا بقولهم أن عيسي–عليه السلام– ابن الله تعالي الله عن ذلك علوا كبيرا فهو سبحانه وتعالي { لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤) }– الإخلاص

ولعلمائنا بيان شافي لفوائد هذه الآية ومدلولها في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة في نفي هذه الفرية عن الله تعالي وبيان ضلال النصارى وكفرهم من ذلك:

–قول ابن القيم– رحمه الله–: فأما منافاة عموم خلقه لنسبه الولد إليه فظاهر فإنه لو كان له ولد لم يكن مخلوقا بل جزءا وهذا ينافي كونه خالق كل شيء وبهذا يعلم أن الفلاسفة الذين يقولون بتولد

---

١٧ – أخرجه البخاري برقم/ ٥٨٤٠– باب النوم على الشق الأيمن، ومسلم برقم/ ٤٨٨٥– باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع

١٨ –انظر مجموع الفتاوي لابن تيمية–(٢٨ /١٧٥) –الناشر دار الوفاء

العقول والنفوس عنه بواسطة أو بغير واسطة شر من النصارى وأن من زعم أن العالم قديم فقد أخرجه عن كونه مخلوقا لله وقوله أخبث من قول النصارى لأن النصارى أخرجوا عن عموم خلقه شخصا واحدا أو شخصين ومن قال بقدم العالم فقد أخرج العالم العلوي والسفلي والملائكة عن كونه مخلوقا لله والنصارى لم يصل كفرهم إلى هذا الحد وأما منافاة عدم المصاحبة للولد فظاهر أيضا لأن الولد إنما يتولد من أصلين فاعل ومحل قابل يتصلان اتصالا خاصا فينفصل من أحدهما جزء في الآخر يكون منه الولد فمن ليس له صاحبة كيف يكون له ولد ولذلك لما فهم عوام النصارى أن الابن يستلزم الصاحبة لم يستنكفوا من دعوى كون مريم آلهة وأنها والدة الإله عيسى فيقول عوامهم يا والدة الإله اغفري لي ويصرح بعضهم بأنها زوجة الرب ولا ريب أن القول بالإيلاد يستلزم ذلك أو إثبات إيلاد لا يعقل ولا يتوهم فخواص النصارى في حيرة وضلال وعوامهم لا يستنكفون أن يقولوا بالزوجة والإيلاد المعقول تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا والقوم في هذا المذهب الخبيث أضل خلق الله فهم كما وصفهم الله بأنهم {قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ}.اهـ([19])

-وقال ابن عثيمين: قال تعالى: { لم يلد ولم يولد }[الإخلاص:٣] { لم يلد}؛ لأنه -جل وعلا - لا مثيل له، والولد مشتق من والده، وجزء منه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في فاطمة: "إنها بضعة مني"([20]) والله جل وعلا لا مثيل له، ثم إن الولد إنما يكون للحاجة إليه؛ إما في المعونة على مكابدة الدنيا، وإما في الحاجة إلى بقاء النسل، والله عز وجل مستغن عن ذلك، فلهذا { لم يلد}؛ لأنه لا مثيل له، ولأنه مستغن عن كل أحد عز وجل، وقد أشار الله عز وجل إلى امتناع ولادته - أيضا- في قوله تعالى: {أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم [الأنعام:١٠١] فالولد يحتاج إلى صاحبة تلده، وكذلك هو خالق كل شيء، فإذا كان خالق كل شيء، فكل شيء منفصل عنه، {ولم يلد} وفي هذه الجملة رد على ثلاث طوائف منحرفة من بني آدم، وهم: المشركون، واليهود، والنصارى؛ لأن المشركين جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا وقالوا: إن الملائكة بنات الله، واليهود قالوا: عزير ابن الله، والنصارى قالوا: المسيح ابن الله، {ولم يولد}؛ لأنه عز وجل هو الأول الذي ليس قبله شيء.اهـ ([21])

---

١٩ --انظر بدائع الفوائد لابن القيم-(٤/ ١٥٤)

[20] - أخرجه البخاري برقم/ ٣٤٣٧- باب مناقب قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنقبة فاطمة عليها السلام- ولفظه " فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني " من حديث المسور بن مخرمة-رضي الله عنهما

٢١- تفسير العلامة محمد العثيمين -مصدر الكتاب: موقع العلامة العثيمين

قال تعالي {وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٠٨)}

قلت: مفهوم الآية يدل علي أن أهل السفه من الكفار والمشركين لا يتورعون عن سب الله تعالي بدون علم أن سبت آلهتهم التي يعبدونها من دون الله وهذه الآية تبين أن من الحكمة عدم سب آلهتهم لما يترتب عليه من الشر ولقد نبه علمائنا لذلك في أحكامهم([٢٢]) من ذلك:

-ما ذكره ابن عربي -رحمه الله- في أحكامه- عن أحكام الآية قال: فيها مسألتان: المسألة الأولى: اتفق العلماء على أن معنى الآية: لا تسبوا آلهة الكفار فيسبوا إلهكم وكذلك هو؛ فإن السب في غير الحجة فعل الأدنياء.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: " لعن الله الرجل يسب أبويه " قيل: يا رسول الله؛ وكيف يسب أبويه ؟ قال: "يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه "([٢٣])؛ فمنع الله تعالى في كتابه أحدا أن يفعل فعلا جائزا يؤدي إلى محظور؛ ولأجل هذا تعلق علماؤنا بهذه الآية في سد الذرائع، وهو كل عقد جائز في الظاهر يؤول أو يمكن أن يتوصل به إلى محظور؛ وسترى هذه المسألة مستوفاة في سورة الأعراف

وقد قيل: إن المشركين قالوا: لئن لم تنتهن عن سب آلهتنا لنسبن إلهكم، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

المسألة الثانية: هذا يدل على أن للمحق أن يكف عن حق يكون له إذا أدى ذلك إلى ضرر يكون في الدين ؟ وهذا فيه نظر طويل، اختصاره: أن الحق إن كان واجبا فيأخذه بكل حال، وإن كان جائزا ففيه يكون هذا القول والله أعلم.اهـ([٢٤])

-وذهب لذلك الجصاص فقال- رحمه الله-: قوله تعالى: { ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم } قال السدي: لا تسبوا الأصنام فيسبوا من أمركم بما أنتم عليه من عيبها.

وقيل: " لا تسبوا الأصنام فيحملهم الغيظ والجهل على أن يسبوا من تعبدون كما سببتم من يعبدون "

---

٢٢ - انظر المزيد في إغاثة اللهفان لابن القيم رحمه الله (٣٦١/١)، وإرشاد الفحول (٢٤٢) ، وأصول الفقه(ص٢٥٨)لأبي زهرة وغيرهم.

٢٣ -أخرجه مسلم برقم/١٣٠- باب بيان الكبائر وأكبرها

٢٤ -انظر أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي- (٤٤٠/٣)

وفي ذلك دليل على أن المحق عليه أن يكف عن سب السفهاء الذين يتسرعون إلى سبه على وجه المقابلة له لأنه بمنزلة البعث على المعصية.اهـ ([25])

-وأضاف العلامة بن عثيمين– رحمه الله–: فسبُ آلهةِ المشركين كل يعلمُ أنه مصلحة وأن فيه خيراً، لكن إذا تضمنت هذه المصلحة ما هو أنكر – وأنكر من باب التفاضل الذي ليس في الطرف الآخر من شيء– إذا تضمن مفسدةً عظيمةً فإنها تترك، لأننا إذا سببْنا آلهتهم ونحن نسُبها بحق سبُّوا الله عدواً بغير علم، فهذه نقطة ينبغي أن نتفطن لها عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.اهـ([26])

قال تعالي {وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأنعام نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (١٣٦)}

أن الشرك من أعظم الظلم وأفدح الذنوب كما قلنا سلفاً لأنه يؤدي إلي الخلود في النار ومن الشرك أتخاذ الأنداد وعبادتهم مع الله تعالي وفي هذه الآية الكريمة فوائد وأحكام هامة نبه إليها علمائنا منها:

-ما ذكره ابن تيمية– رحمه الله –في منهاج السنة قال ما مختصره:

قال أبو سفيان يوم أحد أعل هبل أعل هبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم "ألا تجيبوه فقالوا وما نقول قال قولوا الله أعلى وأجل "وقال أبو سفيان إن لنا العزى ولا عزى لكم قال "ألا تجيبوه قالوا وما نقول قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم"([27]) ويوجد كثير من الناس يحلف بند جعله لله وينذر له ويوالي في محبته ويعادي من يبغضه ويحلف به فلا يكذب ويوفي بما نذره له وهو يكذب إذا حلف بالله ولا يوفي بما نذره لله ولا يوالي في محبة الله ولا يعادي في الله كما يوالي ويعادي لذلك الند فمن قال إني لا أجد في قلبي أن الله أحد الي مما سواه فأحد الأمرين لازم إما أن يكون صادقا فيكون كافرا مخلدا في النار من الذين اتخذوا من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله وإما أن يكون غالطا في قوله لا أجد في قلبي هذا.اهـ([28])

---

٢٥ –انظر أحكام القرآن للجصاص –(٦ /٢٢٢)

٢٦ – انظر منهاج أهل السنة والجماعة في العقيدة والعمل لابن عثيمين ص/٤١

٢٧ –أخرجه البخاري برقم/ ٢٨١٢– باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب

٢٨ – انظر منهاج السنة لابن تيمية(٥/٣٩٨)

-وأضاف الجصاص- رحمه الله- في أحكامه: قوله تعالى: { وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا } الآية الحرث الزرع، والحرث الأرض التي تثار للزرع؛ قال ابن عباس وقتادة عمد أناس من أهل الضلالة فجزءوا من حروثهم ومواشيهم جزءا لله تعالى وجزءا لشركائهم، فكانوا إذا خالط شيء مما جزءوا لشركائهم ما جزءوا لله تعالى ردوه على شركائهم، وكانوا إذا أصابتهم السنة استعانوا بما جزءوا لله تعالى ووفروا ما جزءوا لشركائهم.

وقيل: إنهم كانوا إذا هلك الذي لأوثانهم أخذوا بدله مما لله تعالى ولا يفعلون مثل ذلك فيما لله تعالى، قال ذلك الحسن والسدي.

وقيل: " إنهم كانوا يصرفون بعض ما جعلوه لله في النفقة على أوثانهم ولا يفعلون مثل ذلك فيما جعلوه للأوثان ".

وإنما جعل الأوثان شركاءهم لأنهم جعلوا لها نصيبا من أموالهم ينفقونها عليها فشاركوها في نعمهم.اهـ (٢٩)

قال تعالي {وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١٣٧) }

هذه الآية الكريمة تبين بشاعة ما فعله الشيطان بتزينه للمشركين في الجاهلية بقتلهم أولادهم أحياء وهو ما يعرف بوأد البنات وفيها من الاحكام ما يلي:

-قوله تعالي { وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ }

-قال ابن عربي-رحمه الله-: { وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم } يعني: في الوأد للبنات مخافة السباء وعدم الحاجة وما حرمن من النصرة، كما كانت الجاهلية تفعله.

وقيل: كما فعل عبد المطلب حين نذر ذبح ولده عبد الله.

وحقيقة التزيين إظهار الجميل، وإخفاء القبيح، وقد يتغلب بخذلان الله للعبد، كما يتحقق بتوفيقه له.

ومن الباطل الذي ارتكبوه بتزيين الشيطان تصويره عندهم جواز أكل الذكور من القرابين، ومنع الإناث من أكلها، كالأولاد والألبان، وكان تفضيلهم للذكور لأحد وجهين، أو بمجموعهما: إما لفضل الذكر في نفسه على الأنثى، وإما لأن الذكور كانوا سدنة بيوت الأصنام؛ فكانوا يأكلون مما

---

٢٩ -انظر أحكام القرآن للجصاص -(٦/ ٢٣٢)

جعل لهم منها؛ وذلك كله تعد في الأفعال، وابتداء في الأقوال، وعمل بغير دليل من الشرع؛ ولذلك أنكر جمهور من الناس على أبي حنيفة القول بالاستحسان وهي: المسألة السادسة: فقالوا: إنه يحرم ويحلل بالهوى من غير دليل، وما كان ليفعل ذلك أحد من أتباع المسلمين، فكيف أبو حنيفة، وعلماؤنا من المالكية كثيرا ما يقولون: القيام كذا في مسألة، والاستحسان كذا، والاستحسان عندنا وعند الحنفية هو العمل بأقوى الدليلين.اهـ([30])

-وقوله تعالى { لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ }

قال الشاطبي- رحمه الله- مبينا الفائدة من هذه الجزئية من الآية فقال: فإن الآية صرحت أن لهذا التزيين سببين: أحدهما الإرداء وهو الإهلاك.

والآخر لبس الدين، وهو قوله:{وليلبسوا عليهم دينهم} ولا يكون ذلك إلا بتغييره وتبديله أو الزيادة فيه أو النقصان منه، وهو الابتداع بلا إشكال، وإنما كان دينهم أولا دين أبيهم (إبراهيم) فصار ذلك من جملة ما بدلوا فيه، كالبحيرة والسائبة ونصب الأصنام وغيرها، حتى عد من جملة دينهم الذي يدينون به ويعضده قوله تعالى بعد: {فذرهم وما يفترون} فنسبهم إلى الافتراء. كما ترى. والعصيان من حيث هو عصيان لا يكون افتراء، وإنما يقع الافتراء في نفس التشريع في أن هذا القتل من جملة ما جاء من الدين.اهـ([31]).

قال تعالى (سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ..(١٤٨))

-قال ابن تيمية-رحمه الله-موضحاً الفائدة من الآية فقال:

ومعلوم أن مبدأ هذا التحريم: ترك الأمور المباحة تدينا، وأصل هذا التدين: هو من التشبه بالكفار، وإن لم يقصد التشبه بهم.

فقد تبين لك: أن من أصل دروس دين الله وشرائعه، وظهور الكفر والمعاصي: التشبه بالكافرين، كما أن من أصل كل خير: المحافظة على سنن الأنبياء وشرائعهم، ولهذا عظم وقع البدع في الدين، وإن لم يكن فيها تشبه بالكفار، فكيف إذا جمعت الوصفين ؟

---

٣٠ -انظر أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي- (٣ /٤٥٩)

[٣١] -انظر الاعتصام للشاطبي(٢/٥٢١)

ولهذا جاء في الحديث: « ما ابتدع قوم بدعة إلا نزع عنهم من السنة مثلها » ([32]).اهـ([33])

قال تعالي {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢)}

-قال ابن عربي: -رحمه الله -في أحكامه ما مختصره:

فيها ثلاث مسائل: المسألة الأولى: قوله تعالى: { إن صلاتي } الآية: مقام التسليم لله ودرجة التفويض إلى الله بناء عن مشاهدة توحيد ومعاينة يقين وتحقيق؛ فإن الكل من الإنسان لله أصل ووصف، وظاهر وباطن، واعتقاد وعمل، وابتداء وانتهاء، وتوقف وتصرف، وتقدم وتخلف، لا شريك له فيه، لا منه ولا من غيره يضاهيه أو يدانيه.

المسألة الثانية: ثبت في الحديث الصحيح " أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستفتح به صلاته، وثبت أنه كان يقول في استفتاحها أيضا: سبحانك اللهم وبحمدك "([34]).

واختلف قول مالك بذلك؛ فقال ابن القاسم: لم ير مالك هذا الذي يقول الناس قبل القراءة: سبحانك اللهم وبحمدك.

وفي مختصر ما ليس في المختصر أن مالكا يقول: وإنما كان يقول في خاصته لصحة الحديث به؛ وكان لا يريه للناس مخافة أن يعتقدوا وجوبه.

ورآه الشافعي من سنن الصلوات، وهو الصواب؛ لصحة الحديث؛ والله أعلم.

المسألة الثالثة: إذا قلنا إنه يقولها في افتتاح الصلاة على الوجه المتقدم فإنه يقول في آخرها: وأنا من المسلمين، ولا يقول: وأنا أول المسلمين؛ إذ ليس أحد بأولهم إلا محمد صلى الله عليه وسلم.

فإن قيل: أوليس إبراهيم قبله ؟ قلنا: عنه أجوبة، أظهرها الآن أن أول المسلمين من أهل ملته والله أعلم.اهـ. ([35])

---

٣٢ - صحح الألباني إسناده في المشكاة برقم/ ١٨٨

٣٣ - انظر اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية-(ص/٢٧٢)

٣٤ - انظر صحيح سنن ابن ماجة (٨٠٦)، ، وصحيح أبي داود (٧٤٩) والإرواء (٣٤١) ، والمشكاة (٨١٥) للألباني-رحمه الله-

٣٥ -انظر أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي- (٤٨٥/٣)

من الكتب السماوية الثلاثة التوراة والانجيل والقرآن وفي سورة الأنعام أحكام وفوائد ينبغي الإلمام بها منها:

قال تعالي { وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ (٣٤) }

-ذكر ابن تيمية –رحمه الله- مبينًا الفائدة من الآية وحكمها فقال: هذه الآية تضعف جواب من يقول: إن إخلاف الوعيد جائز فإن قوله: { ما يبدل القول لدي } بعد قوله: { وقد قدمت إليكم بالوعيد } دليل على أن وعيده لا يبدل كما لا يبدل وعده. لكن التحقيق الجمع بين نصوص الوعد والوعيد وتفسير بعضها ببعض من غير تبديل شيء منها كما يجمع بين نصوص الأمر والنهي من غير تبديل شيء منها. وقد قال تعالى: { سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله } والله أعلم.اهـ([٣٦])

قال تعالي {وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣)}

من فوائد هذه الآية الكريمة وما في معناها يتعلم المسلم آداب المناظرة والاقناع بالحجة الدامغة لرد المعاندين الصادين عن الحق وهو واضح جلي وقد أفاد علمائنا في تفسيراتهم وأقوالهم عن فوائد الآية وأحكامها وها هي نبذه مما قالوه والله المستعان.

-قال السعدي-رحمه الله-مما فتح الله عليه من فوائد: ومنها: ما في قصصه من آداب المناظرة: طرقها ومسالكها النافعة، وكيفية إلزام الخصم بالطرق الواضحة التي يعترف بها أهل العقول، وإلجاؤه الخصم الألد إلى الاعتراف ببطلان مذهبه، وإقامة الحجة على المعاندين وإرشاد المسترشدين.اهـ([٣٧])

-وقال ابن القيم-رحمه الله-عن مناظرة إبراهيم –عليه السلام-لقومه ما مختصره: وهو الذي فتح للأمة باب مناظرة المشركين واهل الباطل وكسر حججهم وقد ذكر الله سبحانه مناظراته في القرآن مع امام المعطلين ومناظرته مع قومه المشركين وكسر حجج الطائفتين بأحسن مناظرة واقربها إلى الفهم وحصول العلم

---

٣٦ --انظر مجموع الفتاوي لابن تيمية-(٤٩٨/١٤) -الناشر دار الوفاء

[٣٧] – انظر تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن(٢١١/١)

قال تعالى {وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء} الأنعام ٨٣
قال زيد بن اسلم وغيره بالحجة والعلم ولما غلب اعداء الله معه بالحجة وظهرت حجته عليهم وكسر اصنامهم فكسر حججهم ومعبودهم هموا بعقوبته والقائه في النار وهذا شأن المبطلين إذا غلبوا وقامت عليهم الحجة هموا بالعقوبة كما قال فرعون لموسى عليه السلام وقد اقام عليه الحجة {لئن اتخذت إلها غيري لاجعلنك من المسجونين} الشعراء ٢٩ فأضرموا له النار والقوه في المنجنيق.اهـ[٣٨]

-وزاد الجصاص في بيان أحكامها فقال- رحمه الله-: وفيما أخبر الله تعالى به عن إبراهيم عليه السلام وقوله عقيب ذلك: { وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه } أوضح دلالة على وجوب الاستدلال على التوحيد وعلى بطلان قول الحشو القائلين بالتقليد؛ لأنه لو جاز لأحد أن يكتفي بالتقليد لكان أولاهم به إبراهيم عليه السلام فلما استدل إبراهيم على توحيد الله واحتج به على قومه ثبت بذلك أن علينا مثله؛ وقد قال في نسق التلاوة عند ذكره إياه مع سائر الأنبياء: { أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده } فأمرنا الله تعالى بالاقتداء به في الاستدلال على التوحيد والاحتجاج به على الكفار ومن حيث دلت أحوال هذه الكواكب على أنها مخلوقة غير خالقة ومربوبة غير رب.

ثم قال- رحمه الله-:وفيه الدلالة على أن معرفة الله تعالى تجب بكمال العقل قبل إرسال الرسل؛ لأن إبراهيم عليه السلام استدل عليها قبل أن يسمع بحجج الأنبياء عليهم السلام قوله تعالى: { وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه }.اهـ [٣٩]

قال تعالي {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ (٩٠)}

-قال ابن عربي- رحمه الله- في أحكامه عن الآية:
هذه الآية أصولية فإنها تفيد مسألة من الأصول، وهي أن النبي صلى الله عليه وسلم وأمته: هل تعبدوا بشريعة من قبلهم أم لا ؟ وقد حققناها في الأصول، فلتنظر هناك.
وفيها من الأحكام العمل بما ظهر من أفعالهم، وأخبرنا عنهم النبي صلى الله عليه وسلم وثبت في

---

٣٨ -انظر جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام(ص/٢٧٥)
٣٩ -انظر أحكام القرآن للجصاص -(٦ /٢١٨)

الصحيح عن النبي، واللفظ للبخاري عن العوام قال سألت مجاهدا عن سجدة " ص " فقال: سألت ابن عباس من أين سجدت ؟ فقال: أوما تقرأ: { ومن ذريته داود وسليمان } " إلى قوله: { أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده }.

وكان داود عليه السلام ممن أمر نبيكم صلى الله عليه وسلم أن يقتدي به، فسجدها داود، فسجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم.اهـ([40])

قال تعالي {.. انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٩٩)}

قلت:ما أكثر الآيات في القرآن الكريم الدالة في أحكامها علي سعة فضل الله وكرمه وإحسانه ومن تدبر هذه الآية يجدها من تلك الآيات ذات الدلائل القوية للتفكر في آيات الله وحكمته وقدرته.

-وذكر ابن عربي-رحمه الله- في أحكامه عن الآية ما مختصره: فيها مسألتان: المسألة الأولى: في تفسير الينع: فيه ثلاثة أقوال: الأول: الطيب والنضج؛ يقال: أينع الثمر يينع ويونع، والثمر يانع ومونع، إذا أدرك.

الثاني: قال ابن الأنباري: الينع جمع يانع، وهو المدرك البالغ. الثالث: قال الفراء: " ينع " أقل من " أينع " ومعناه احمر. وأضاف- رحمه الله-:

وقد قال ابن وهب قال مالك وهي: المسألة الثانية: { إلى ثمره إذا أثمر وينعه } الإيناع: الطيب بغير فساد ولا نقش.

قال مالك: والنقش أن تنقش أسفل البسرة حتى ترطب، يريد يثقب فيها، بحيث يسرع دخول الهواء إليه فيرطب معجلا؛ فليس ذلك الينع المراد في القرآن، ولا هو الذي ربط به رسول الله صلى الله عليه وسلم البيع؛ وإنما هو ما يكون من ذاته بغير محاولة، وفي بعض بلاد التين، وهي البلاد الباردة، لا ينضج حتى يدخل في فمه عمود قد دهن بزيت، فإذا طاب حل بيعه؛ لأن ذلك ضرورة الهواء وعادة

البلاد، ولولا ذلك ما طاب في وقت الطيب.اهـ([41])

---

٤٠ -انظر أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي- (٤٣٧/٣)

٤١ -انظر أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي- (٤٣٨/٣)

قال تعالي:{كَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١١٢)}

قلت: هذه الآية الكريمة تبين حقيقة الباطل واصوله والنفاق ومنابعه وفيها فوائد جمة تخفي علي كثير من الناس ولقد نبه ابن القيم–رحمه الله– لهذه الفوائد الجليلة من الآية فقال–رحمه الله–ما نصه:

فذكر سبحانه أنهم يستعينون على مخالفة أمر الأنبياء بما يزخرفه بعضهم لبعض من القول فيغتر به الأغمار وضعفاء العقول فذكر السبب الفاعل والقابل ثم ذكر سبحانه انفعال هذه النفوس الجاهلة به بصغوها وميلها إليه ورضاها به لما كسي من الزخرف الذي يغر السامع فلما أصغت إليه ورضيته اقترفت ما تدعو إليه من الباطل قولا وعملا.

ثم قال– رحمه الله–:

فتأمل هذه الآيات وما تحتها من هذا المعنى العظيم القدر الذي فيه بيان أصول الباطل والتنبيه على مواقع الحذر منها وعدم الاغترار بها وإذا تأملت مقالات أهل الباطل رأيتهم قد كسوها من العبارات وتخيروا لها من الألفاظ الرائقة ما يسرع إلى قبوله كل من ليس له بصيرة نافذة وأكثر الخلق كذلك حتى إن الفجار ليسمون أعظم أنواع الفجور بأسماء لا ينبو عنها السمع ويميل إليها الطبع فيسمون أم الخبائث أم الأفراح ويسمون اللقمة الملعونة لقيمة الذكر والفكر التي تثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن ويسمون مجالس الفجور والفسوق مجالس الطيبة حتى إن بعضهم لما عذل عن شيء من ذلك قال لعاذله ترك المعاصي والتخوف منها إساءة ظن برحمة الله وجرأة على سعة عفوه ومغفرته فانظر ماذا تفعل هذه الكلمة في قلب ممتلئ بالشهوات ضعيف العلم والبصيرة.اهـ([٤٢])

---

[٤٢] – انظر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة(٤٣٧/٢)

ما جاء عن الثواب والعقاب

الثواب والعقاب لا مفر منهما لإصلاح الخلل وضبط الأمور بميزان العدل والشرع وفي القرآن الثواب والعقاب بهما معاً يقام الحق ويظهر الصالح من الطالح تارة بالترغيب وتارة أخري بالترهيب والآيات الدالة علي هذا المعني في سورة الأنعام كثيرة وفيها من الفوائد والأحكام الكثير نذكر منها:

قال تعالي {مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا.. (٢٥)}

في هذه الجزئية من الآية فائدة جليلة يبينها العلامة الألباني في رده علي سؤال ومضمونه يَشُم البعض من هذه الآية رائحة الجبر، فما رأيكم في ذلك؟

أجاب الألباني-رحمه الله-فقال ما مختصره: الجعل هو جعل كوني، ولفهم هذا لا بد من شرح الإرادة الإلهية، فإن الإرادة الإلهية تنقسم إلى قسمين: - إرادة شرعية، وإرادة كونية.

الإرادة الشرعية هي: كل ما شرعه الله عز وجل لعباده، وحضهم على القيام به، من طاعات وعبادات، على اختلاف أحكامها من فرائض إلى مندوبات، وهذه الطاعات والعبادات يريدها الله تبارك وتعالى ويحبها.

أما الإرادة الكونية فهي: قد تكون تارة مما شرع الله وأحبها لعباده، وقد تكون تارة مما لم يشرعها ولكنه قدرها، وهذه الإرادة إنما سميت بالإرادة الكونية اشتقاقاً من قوله تبارك وتعالى: { إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } [يس:٨٢] فشيئاً: اسم نكرة يشمل كل شيء؛ سواءً كان طاعة أو كان معصية، إنما يكون ذلك بقوله تعالى: {كن}. أي: بمشيئته وبقضائه وقدره، فإذا عرفنا هذه الإرادة الكونية، وهي أنها تشمل كل شيء؛ سواء كان طاعة أو كان معصية، حين ذلك لا بد من الرجوع بنا إلى موضوع القضاء والقدر؛ لأن قوله عز وجل: { إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } [يس:٨٢] معنى ذلك أن هذا الذي قال له (كن) جعله أمراً مقدراً كائناً لا بد منه. حينئذٍ طرقنا بحث القضاء والقدر مراراً وتكراراً، وقلنا: إن كل شيء عند الله عز وجل بقدر، أيضاً هذا يشمل الخير ويشمل الشر، ولكن ما يتعلق منه بنا نحن الثقلين الإنس والجن المكلفين المأمورين من الله عز وجل، فما يتعلق بنا نحن يجب أن ننظر إلى ما نقوم به نحن، حيث إنه: إما أن يكون بمحض إرادتنا واختيارنا، وإما أن يكون رغماً عنا، وهذا القسم الثاني لا يتعلق به طاعة ولا معصية، ولا يكون عاقبة ذلك جنة ولا نار، وإنما القسم الأول عليه تدور الأحكام الشرعية، وعلى ذلك يكون جزاء الإنسان الجنة أو النار.

أي: ما يفعله الإنسان بإرادته ويسعى إليه بكسبه واختياره، فهو الذي يحاسب عليه الإنسان إن

خيراً فخير أو شراً فشر، هذه حقيقة! أي: كون الإنسان مختاراً في قسم كبير من أعماله؛ فهذه حقيقة لا يمكن المجادلة فيها لا شرعاً ولا عقلاً، أما الشرع فنصوص الكتاب والسنة متواترة يأمر الإنسان في أن يفعل ما أمر به، وفي أن يترك ما نهي عنه، وهي أكثر من أن تذكر، وأما عقلاً فواضح لكل إنسان متجرد عن الهوى والغرض بأنه حينما يتكلم حينما يمشي حينما يأكل حينما يشرب حينما يفعل أي شيء مما يدخل في اختياره؛ فهو مختار في ذلك وغير مضطر إطلاقاً.

ثم أضاف- رحمه الله-:

إذاً: أعمال الإنسان تنقسم إلى قسمين: اختيارية، واضطرارية.

فالاضطرارية ليس لنا فيها كلام، لا من الناحية الشرعية ولا من الناحية الواقعية، إنما الشرع يتعلق بالأمور الاختيارية، فهذه الحقيقة إذا ما ركزناها في ذهننا؛ استطعنا أن نفهم الآية السابقة: { وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً } [الإسراء:٤٦] فهذا الجعل كوني، ويجب أن تتفكروا في الآية السابقة { إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً } [يس:٨٢] كوني، ولكن ليس رغماً عن هذا الذي جعل الله على قلبه أكنة، هذا مثاله من الناحية المادية: الإنسان حينما يخلق، يخلق ولحمه غض طري، ثم إذا ما كبر، وكبر، وكبر، يغلظ لحمه ويشتد عظمه، ولكن الناس ليسوا كلهم في ذلك سواء، ففرق كبير جداً بين إنسان منكب على نوع من الدراسة والعلم، فهذا ماذا يقوى فيه؟ يقوى عقله، ويقوى دماغه في الناحية التي هو ينشغل بها، وينصب في كل جهوده عليها، لكن من الناحية البدنية جسده لا يقوى، وعضلاته لا تنمو.

والعكس بالعكس تماماً؛ بالنسبة لشخص منصب على الناحية المادية، فهو كل يوم يتعاطى تمارين رياضية، فهذا تشتد عضلاته، ويقوى جسده، ويصبح له صورة، كما نرى ذلك أحياناً في الواقع وأحياناً في الصور، فهؤلاء الأبطال -مثلاً- تصبح أجسادهم كلها عضلات، فهل هو خلق هكذا، أم هو اكتسب هذه البنية القوية ذات العضلات الكثيرة؟ هذا شيء وصل إليه هو بكسبه وباختياره.

ذلك هو مثل الإنسان الذي يظل في ضلاله، وفي عناده، وفي كفره وجحوده، فيصل إلى الران إلى هذه الأكنة التي يجعلها الله عز وجل على قلوبهم، لا بفرض من الله واضطرار من الله لهم؛ وإنما بسبب كسبهم واختيارهم، فهذا هو الجعل الكوني الذي يكتسبه هؤلاء الناس الكفار، فيصلون إلى هذه النقطة التي يتوهم الجهال أنها فرضت عليهم، والحقيقة أن ذلك لم يفرض عليهم، وإنما ذلك بما

كسبت أيديهم، وأن الله ليس بظلام للعبيد.اهـ([43])

قال تعالي:{.. كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥٤)}

–ذكر ابن تيمية–رحمه الله–في بيانه لهذه الجزئية من الآية فائدة فقال ما مختصره: ولهذا يسمى حال فعل السيئات: الجاهلية. فإنه يصاحبها حال من حال جاهلية. قال أبو العالية: سألت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية ؟ { إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب } فقالوا: كل من عصى الله فهو جاهل. ومن تاب قبيل الموت: فقد تاب من قريب. وعن قتادة قال " أجمع أصحاب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن كل من عصى ربه فهو في جهالة، عمدا كان أو لم يكن. وكل من عصى الله فهو جاهل " وكذلك قال التابعون ومن بعدهم. قال مجاهد: من عمل ذنبا – من شيخ، أو شاب – فهو بجهالة، وقال: من عصى ربه فهو جاهل. حتى ينزع عن معصيته. وقال أيضا: هو إعطاء الجهالة العمد. وقال مجاهد أيضا: من عمل سوءا خطأ، أو إثما عمدا: فهو جاهل. حتى ينزع منه.

ثم أضاف– رحمه الله–: قلت: ومما يبين ذلك: قوله تعالى { إنما يخشى الله من عباده العلماء } وكل من خشيه، وأطاعه، وترك معصيته: فهو عالم. كما قال تعالى { أم من هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون }. وقال رجل للشعبي: أيها العالم. فقال: إنما العالم من يخشى الله. قوله تعالى { إنما يخشى الله من عباده العلماء } يقتضي أن كل من خشي الله فهو عالم. فإنه لا يخشاه إلا عالم.اهـ([44])

قال تعالي:{وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٦٨) }

–قال القرطبي– رحمه الله– مبيناً حكم من أحكام الآية:

في هذه الآية رد من كتاب الله عز وجل على من زعم أن الأئمة الذين هم حجج وأتباعهم لهم أن يخالطوا الفاسقين ويصوبوا آراءهم تقية. وذكر الطبري عن أبي جعفر محمد بن علي –رضي الله عنه –أنه قال: لا تجالسوا أهل الخصومات، فإنهم الذين يخوضون في آيات الله.

---

٤٣ –انظر "كيف يجب علينا أن نفسر القرآن الكريم " للألباني (ص/٢٣)–الناشر المكتبة الإسلامية

٤٤ – انظر مجموع الفتاوي لابن تيمية (٢٩١/١٤)–دار الوفاة

وأضاف: وقال الفضيل بن عياض: من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله وأخرج نور الإسلام من قلبه، ومن زوج كريمته من مبتدع فقد قطع رحمها، ومن جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة، وإذا علم الله عز وجل من رجل أنه مبغض لصاحب بدعة رجوت أن يغفر الله له. اه ([٤٥])

-وأضاف الجصاص-رحمه الله في أحكامه: فأمر الله نبيه بالإعراض عن الذين يخوضون في آيات الله، وهي القرآن، بالتكذيب وإظهار الاستخفاف إعراضا يقتضي الإنكار عليهم وإظهار الكراهة لما يكون منهم إلا أن يتركوا ذلك ويخوضوا في حديث غيره.

وهذا يدل على أن علينا ترك مجالسة الملحدين وسائر الكفار عند إظهارهم الكفر والشرك وما لا يجوز على الله تعالى إذا لم يمكنا إنكاره وكنا في تقية من تغييره باليد أو اللسان؛ لأن علينا اتباع النبي صلى الله عليه وسلم فيما أمره الله به إلا أن تقوم الدلالة على أنه مخصوص بشيء منه قوله تعالى: { وإما ينسينك الشيطان } المراد: إن أنساك الشيطان ببعض الشغل فقعدت معهم وأنت ناس للنهي فلا شيء عليك في تلك الحال.

ثم قال تعالى: { فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين } يعني: بعدما تذكر نهي الله تعالى لا تقعد مع الظالمين.

وذلك عموم في النهي عن مجالسة سائر الظالمين من أهل الشرك وأهل الملة لوقوع الاسم عليهم جميعا، وذلك إذا كان في ثقة من تغييره بيده أو بلسانه بعد قيام الحجة على الظالمين بقبح ما هم عليه، فغير جائز لأحد مجالستهم مع ترك النكير سواء كانوا مظهرين في تلك الحال للظلم والقبائح أوغير مظهرين له؛ لأن النهي عام عن مجالسة الظالمين؛ لأن في مجالستهم مختارا مع ترك النكير دلالة على الرضا بفعلهم ونظيره قوله تعالى: { لعن الذين كفروا من بني إسرائيل } الآيات، وقد تقدم ذكر ما روي فيه.اه ([٤٦])

-وزاد ابن عربي-في أحكامه ما مختصره وبتصرف:

قوله تعالى: { وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين } قال قوم: هذا خطاب من الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم والمراد بذلك الأمة، وكأن القائلين بذلك ذهبوا إلى تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن النسيان وهم كبار الرافضة، قبحهم الله، وإن عذرنا أصحابنا

---

[٤٥] --الجامع لأحكام القرآن للقرطبي- الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة (١٢/٧)

٤٦ -انظر أحكام القرآن للجصاص -(٢١٤/٦)

في قولهم: إن قوله تعالى: { لئن أشركت ليحبطن عملك }، خطاب للأمة باسم النبي صلى الله عليه وسلم؛ لاستحالة الإشراك عليه فلا عذر لهم في هذا لجواز النسيان على النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى: { سنقرئك فلا تنسى }.

وقال صلى الله عليه وسلم مخبرا عن نفسه:" إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون "([٤٧])، وقال وقد سمع قراءة رجل يقرأ: "لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أنسيتها "([٤٨]).

ثم قال– رحمه الله–:

وفائدته: أن لفظ " نسيت " ينطلق على تركت انطلاقا طبقيا، ثم نقول في تقسيم وجهي متعلقه سهوت إذا كان تركه عن غير قصد، وعمدت إذا كان تركه عن قصد؛ ولذلك قال علماؤنا: إن قوله: " من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها "([٤٩]) عام في وجهي النسيان العمد والسهو.اهـ([٥٠])

قال تعالى:{قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (١٠٤)}

–ذكر القرطبي في تفسيره فائدة من هذه الآية قال ما نصه: يعني بالبصيرة الحجة البينة الظاهرة. ووصف الدلالة بالمجيء لتفخيم شأنها، إذ كانت بمنزلة الغائب المتوقع حضوره للنفس، كما يقال: جاءت العافية وقد انصرف المرض، وأقبل السعود وأدبر النحوس {فمن أبصر فلنفسه} الإبصار: هو الإدراك بحاسة البصر، أي فمن استدل وتعرف فنفسه نفع. {ومن عمي} لم يستدل، فصار بمنزلة الأعمى، فعلى نفسه يعود عماه.اهـ([٥١])

---

٤٧ – جزء من حديث أخرجه البخاري برقم/ ٣٨٦– باب التوجه نحو القبلة حيث كان

٤٨ –أخرجه البخاري من حديث عائشة– رضي الله– عنها برقم/ ٤٦٥٠– باب نسيان القرآن وتمام متنه " سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقرأ في سورة بالليل فقال يرحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا "

٤٩ – انظر صحيح الجامع (برقم/٦٥٧١)

٥٠ –انظر أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي– (٤٣٤/٣)

٥١ ––الجامع لأحكام القرآن للقرطبي– الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة (٥٧/٧)

قال تعالي {أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٢)}

-ذكر ابن تيمية-رحمه الله-درر نفيسة من هذه الآية وما يدور في معناها من الآيات فقال: فالنور الذي يمشي في الناس هو البينة والبصيرة وقال: { الله نور السماوات والأرض } الآية. قال أبي بن كعب وغيره: هو مثل نور المؤمن وهو نوره الذي في قلب عبده المؤمن الناشئ عن العلم النافع والعمل الصالح. وذلك بينة من ربه. وقال: { أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه } فهذا النور الذي هو عليه وشرح الصدر للإسلام هو البينة من ربه وهو الهدى المذكور في قوله: { أولئك على هدى من ربهم } واستعمل في هذا حرف الاستعلاء لأن القلب لا يستقر ولا يثبت إلا إذا كان عالما موقنا بالحق فيكون العلم والإيمان صبغة له ينصبغ بها كما قال: { صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة } ويصير مكانة له كما قال: { قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون } والمكان والمكانة قد يراد به ما يستقر الشيء عليه وإن لم يكن محيطا به كالسقف مثلا وقد يراد به ما يحيط به. فالمهتدون لما كانوا على هدى من ربهم ونور وبينة وبصيرة صار مكانة لهم استقروا عليها وقد تحيط بهم بخلاف الذين قال فيهم: { ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه } فإن هذا ليس ثابتا مستقرا مطمئنا بل هو كالواقف على حرف الوادي وهو جانبه فقد يطمئن إذا أصابه خير وقد ينقلب على وجهه ساقطا في الوادي. وكذلك فرق بين من { أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان } وبين { من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم } وكذلك الذين كانوا على شفا حفرة من النار فأنقذهم منها وشواهد هذا كثير. فقد تبين أن الرسول ومن اتبعه على بينة من ربهم وبصيرة وهدى ونور وهو الإيمان الذي في قلوبهم والعلم والعمل الصالح.اهـ[٥٢]

قال تعالي:{.. كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ(١٤١)}

في هذه الجزئية من الآية فوائد وأحكام ذكرها ابن عربي في أحكامه فقال ما مختصره وبتصرف: قوله تعالى: { وآتوا حقه } اختلف في تفسير هذا الحق على ثلاثة أقوال: الأول: أنه الصدقة المفروضة؛ قال سعيد بن المسيب وغيره، ورواه ابن وهب، وابن القاسم عن مالك في تفسير الآية.

---

٥٢ -انظر مجموع الفتاوي لابن تيمية (٦٣/١٥)- نشر دار الوفاء

الثاني: أنها الصدقة غير المفروضة تكون يوم الحصاد وعند الصرام؛ وهي إطعام من حضر والإيتاء لمن غبر؛ قاله مجاهد.

الثالث: أن هذا منسوخ بالزكاة؛ قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير.

وقد زعم قوم أن هذا اللفظ مجمل ولم يخلصوا القول فيه، وحقيقة الكلام عليه أن قوله: { آتوا } مفسر، وقوله: { حقه } مفسر في المؤتى، مجمل في المقدار؛ إنما يقع النظر في رفع الإشكال الذي أنشأه احتمال هذه الأقوال: وقد بينا فيما سبق وجه أنه ليس في المال حق سوى الزكاة، وتحقيقه في القسم الثاني من علوم القرآن، وفي سورة البقرة من هذا التأليف، وثبت أن المراد بذلك هاهنا الصدقة المفروضة

وقد أفادت هذه الآية وجوب الزكاة فيما سمى الله سبحانه، وأفادت بيان ما يجب فيه من مخرجات الأرض التي أجملها في قوله: { ومما أخرجنا لكم من الأرض }، وفسرها هاهنا؛ فكانت آية البقرة عامة في المخرج كله مجملة في القدر؛ وهذه الآية خاصة في مخرجات الأرض مجملة في القدر، فبينه رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أمر بأن يبين للناس ما نزل إليهم، فقال: { فيما سقت السماء العشر، وما سقي بنضح أو دالية نصف العشر }؛ فكان هذا بيانا لمقدار الحق المجمل في هذه الآية.

وقال أيضا صلى الله عليه وسلم: { ليس فيما دون خمسة أوسق من حب أو تمر صدقة }.

فكان هذا بيانا للمقدار الذي يؤخذ منه الحق، والذي يسمى في ألسنة العلماء نصابا.

وأضاف- رحمه الله-: قوله تعالى: { وآتوا حقه يوم حصاده }: اختلف العلماء في وقت وجوب الزكاة في هذه الأموال النباتية على ثلاثة أقوال: الأول: أنها تجب وقت الجداد؛ قاله محمد بن مسلمة؛ بقوله: { وآتوا حقه يوم حصاده }.

الثاني: أنها تجب يوم الطيب لأن ما قبل الطيب يكون علفا لا قوتا ولا طعاما؛ فإذا طابت وكان الأكل الذي أنعم الله به وجب الحق الذي أمر الله به، إذ بتمام النعمة يجب شكر النعمة، ويكون الإيتاء يوم الحصاد لما قد وجب يوم الطيب.

الثالث: أنه يكون بعد تمام الخرص؛ قاله المغيرة؛ لأنه حينئذ يتحقق الواجب فيه من الزكاة، فيكون شرطا لوجوبها، أصله مجيء الساعي في الغنم.

ولكل قول وجه كما ترون؛ لكن الصحيح وجوب الزكاة بالطيب، لما بيناه من الدليل؛ وإنما خرص عليهم ليعلم قدر الواجب في ثمارهم.

-وفي بيان حكم قوله تعالي: { ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين }قال- رحمه الله: الإسراف: هو

الزيادة، فقيل لهم: لا تسرفوا في الأكل بزيادة الحرام على ما أحله الله لكم ولا تسرفوا في أخذ زيادة على حقكم، وهو التسعة الأعشار، حاسبوا أنفسكم بما تأكلون، وأدوا ما يتعين عليكم بالخرص أو بالجذاذ على ما تقدم..اهـ(٥٣)

قال تعالي:{.. وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٤٢)}

-من فوائد هذه الجزئية من الآية وأحكامها ما ذكره ابن عثيمين-رحمه الله- في تفسيره: تحريم اتباع خطوات الشيطان؛ لقوله تعالى: { ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين }؛ ومن ذلك الأكل بالشمال، والشرب بالشمال؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يأكل أحدكم بشماله، ولا يشرب بشماله؛ فإن الشيطان يأكل بشماله، ويشرب بشماله»(٥٤)؛ ومن اتباع خطوات الشيطان القياس الفاسد؛ لأن أول من قاس قياساً فاسداً هو إبليس؛ لأن الله لما أمره بالسجود لآدم عارض هذا الأمر بقياس فاسد: قال: {أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين} [ص~: ٣٨]؛ يعني: فكان الأولى هو الذي يسجد؛ فهذا قياس في مقابلة النص؛ فاسد الاعتبار؛ ومن اتباع خطوات الشيطان أيضاً الحسد؛ لأن الشيطان إنما قال ذلك حسداً لآدم؛ وهو أيضاً دأب اليهود، كما قال تعالى: {ودكثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم} [البقرة: ١٠٩]؛ وكل خُلق ذميم، أو عمل سوء، فإنه من خطوات الشيطان.اهـ (٥٥)

قال تعالي {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٦٠)}

ذكر علمائنا الثقات-رحمهم الله-من هذه الآية فوائد وأحكام اذكر منها:

-ما ذكره السعدي-رحمه الله-قال ما مختصره: ورد في القرآن آيات كثيرة فيها مضاعفة الحسنة بعشر أمثالها، وورد أيضا آيات أُخر فيها مضاعفة أكثر من ذلك، فما وجه ذلك؟

فيقال: أما مضاعفة الحسنة بعشر أمثالها فلا بد منها في كل عمل صالح كما قال تعالى: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا} [الأنعام: ١٦٠]

وأما مضاعفة العمل أكثر من ذلك فله أسباب، إما متعلقة بنفس العامل، أو بالعمل ومزيته أو

٥٣ -انظر أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي- (٤٧٣/٣)

٥٤ - أخرجه مسلم من حديث ابن عمر- رضي الله عنهما -برقم/٣٧٦٤- باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما

٥٥- تفسير العلامة محمد العثيمين لسورة البقرة -مصدر الكتاب: موقع العلامة العثيمين

نتائجه وثمراته أو بزمانه أو مكانه.

فمن أعظم أسباب مضاعفة العمل إذا حقق العبد في عمله الإخلاص للمعبود، والمتابعة للرسول، فمضاعفة الأعمال تبع لما يقوم بقلب العامل من قوة الإخلاص وقوة الإيمان.

وكذلك من الأسباب إذا كان العمل ناشئا عن عقيدة صحيحة سلفية خالصة متلقاة من الكتاب والسنة، فهذا العبد يكون اليسير من عمله أبرك من الكثير من عمل من ليس كذلك.

ومن ذلك ترك ما تهواه النفوس من الفواحش، مع قوة الداعي إليها لبرهان الإيمان والتوكل والإخلاص.

ومن أسباب المضاعفة أن يكون العمل فيه نفع للمسلمين وغناء، وذلك كالجهاد في سبيل الله، الجهاد بالحجة والبرهان، وبالسيف والسنان، كما قال تعالى في نفقات أهل هذا الصنف:

{مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢٦١]

ويدخل في هذا سلوك طريق التعليم والتعلم للعلوم الشرعية وما يعين عليها، وفى الحديث: «من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة»([٥٦]).

ومن ذلك العمل والسعي في المشاريع الخيرية التي ينتفع بها المسلمون في دينهم ودنياهم ويتسلسل نفعها، ومن ذلك العمل الذي إذا عمله العبد كثر مشاركوه والمقتدون به فيه.

ومن ذلك إذا كان العمل له وقع عظيم ونفع كبير، كإنجاء المضطرين، وكشف كربات المكروبين، فكم من عمل من هذا النوع هدم الله به ذنوب العبد كلها، وأوصله به إلى رضوانه، وقصة البغي التي سقت الكلب الذي كاد يموت من العطش شاهدة بذلك.

ومن ذلك علو مقام العامل عند الله ورفعة درجته، كما قال تعالى:

{يا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ} [الأحزاب: ٣٢]

وقوله قبلها: {وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ} [الأحزاب: ٣١]

ومن ذلك الصدقة من كسب طيب وقوة إخلاص.

ومن ذلك العمل الواقع في زمان فاضل، أو مكان فاضل..اهـ([٥٧])

---

٥٦ – أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة– رضي الله عنه– برقم/ ٤٨٦٧– باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر

٥٧ –انظر تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن لعبد الرحمن السعدي (٣٣٦/١)

-وما ذكره الجصاص-رحمه الله-في أحكامه: قوله تعالى: { من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها } الحسنة اسم للأعلى في الحسن؛ لأن { الهاء } دخلت للمبالغة فتدخل فيها الفروض والنوافل، ولا يدخل المباح وإن كان حسنا؛ لأن المباح لا يستحق عليه حمد ولا ثواب، ولذلك رغب الله في الحسنة وكانت طاعة، وكذلك الإحسان يستحق عليه الحمد.

فأما الحسن فإنه يدخل فيه المباح؛ لأن كل مباح حسن، ولكنه لا ثواب فيه، فإذا دخلت عليه الهاء صارت اسما لا على الحسن وهي الطاعات.

قوله تعالى: { فله عشر أمثالها } معناه: في النعيم واللذة، ولم يرد به أمثالها في عظم المنزلة؛ وذلك لأن منزلة التعظيم لا يجوز أن يبلغها إلا بالطاعة، وهذه المضاعفة إنما هي بفضل الله غير مستحق عليها كما قال تعالى: { ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله } وغير جائز أن تساوي منزلة التفضيل منزلة الثواب في التعظيم؛ لأنه لو جاز ذلك لجاز أن يبتدئهم بها في الجنة من غير عمل، ولجاز أن يساوي بين المنعم بأعظم النعم وبين من لم ينعم.اهـ (٥٨)

قال تعالى:{قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (١٦٤)}

في هذه الآية دلالة واضحة أن الثواب والعقاب يتم بالعدل وقد حرم الله تعالي الظلم علي نفسه فلا يحاسب العبد علي جريرة غيره دون ذنب والجميع أمام الله سواء وإليه—عز وجل-راجعون ليفصل بينهم بحكمه وعدله وللقاري الكريم ما قيل عن فوائد هذه الآية وأحكامها والله المستعان:

- ذكر ابن تيمية —رحمه الله- في بيان الفائدة من قوله تعالي { قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ } كلاماً نفيساً يبين حقيقة العلاقة بين المخلوق والخالق أو الرب والعبد وعن ضلال من يتخذ إلها من البشر فقال: فالمخلوق ليس بإله في نفسه لكن عابده اتخذه إلها وجعله إلها وسماه إلها وذلك كله باطل لا ينفع صاحبه بل يضره كما أن الجاهل إذا اتخذ إماما ومفتيا وقاضيا كان ذلك باطلا؛ فإنه لا يصلح أن يؤم ولا يفتي ولا يقضي وغير الله لا يصلح أن يتخذ إلها يعبد ويدعى فإنه لا يخلق ولا يرزق وهو سبحانه لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع ولا ينفع ذا الجد منه الجد. ومن دعا من لا يسمع دعاءه أو يسمع ولا يستجيب له فدعاؤه باطل وضلال وكل من سوى الله إما أنه لا يسمع دعاء الداعي أو يسمع ولكن لا يستجيب له فإن غير الله لا يستقل بفعل شيء ألبتة وقد

---

٥٨ -انظر أحكام القرآن للجصاص -(٦/ ٢٩٢)

قال تعالى: { قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير } { ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له } فغير الله لا مالك لشيء ولا شريك في شيء ولا هو معاون للرب في شيء؛ بل قد يكون له شفاعة إن كان من الملائكة والأنبياء والصالحين ولكن لا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له فلا بد أن يأذن للشافع أن يشفع وأن يأذن للمشفوع له أن يشفع له ومن دونه لا يملكون الشفاعة ألبتة فلا يصلح من سواه لأن يكون إلها معبودا كما لا يصلح أن يكون خالقا رازقا لا إله إلا هو وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.اهـ(٥٩)

-وقال ابن عربي- رحمه الله- في بيان أحكام الآية ما مختصره وبتصرف: استدل بعض علمائنا المخالفين على أن بيع الفضولي لا يصح بقوله: { ولا تكسب كل نفس إلا عليها }.

وعارضهم علماؤنا بأن المراد بالآية تحمل الثواب والعقاب دون أحكام الدنيا.

ويحتمل أن يكون المراد بذلك كسب الإلزام والالتزام، لا كسب المعونة والاستخدام؛ فقد يتعاون المسلمون ويتعاملون بحكم العادة والمروءة والمشاركة؛ هذا رسول الله قد باع له واشترى عروة البارقي في دينار وتصرف بغير أمره، فأجازه النبي صلى الله عليه وسلم وأمضاه (٦٠).

-وأضاف ابن عربي –رحمه الله-: قوله تعالى: { ولا تزر وازرة وزر أخرى } للوزر معنيان: أحدهما: الثقل؛ وهو المراد هاهنا، يقال وزره يزره إذا حمل ثقله، ومنه قوله تعالى: { ووضعنا عنك وزرك } والمراد به هاهنا الذنب؛ قال تعالى: { وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم } يعني ذنوبهم { ألا ساء ما يزرون } أي: بئس الشيء شيئا يحملون.

والمعنى لا تحمل نفس مذنبة عقوبة الأخرى؛ وإنما تؤخذ كل نفس منهم بجريرتها التي اكتسبتها، كما قال تعالى: { لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت }.

وقد وفد أبو رمثة رفاعة بن يثربي التميمي مع ابنه على النبي صلى الله عليه وسلم قال: فقال: "أما

٥٩-انظر مجموع الفتاوي لابن تيمية (٢٠٤/١٣)-نشر دار الوفاء

٦٠ -يشير المصنف لحديث البخاري برقم/ ٣٣٧٠- من حديث عروة-رضي الله عنه-" أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطاه دينارا يشتري له به شاة فاشترى له به شاتين فباع إحداهما بدينار وجاءه بدينار وشاة فدعا له بالبركة في بيعه وكان لو اشترى التراب لربح فيه"

أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطاه دينارا يشتري له به شاة فاشترى له به شاتين فباع إحداهما بدينار وجاءه بدينار وشاة فدعا له بالبركة في بيعه وكان لو اشترى التراب لربح فيه

إنه لا يجني عليك ولا تجني عليه"([61]).

وهذا إنما بينه لهم ردا على اعتقادهم في الجاهلية من مؤاخذة الرجل بابنه وبأبيه وبجريرة حليفه.

- وهذا حكم من الله تعالى نافذ في الدنيا والآخرة؛ وهو ألا يؤخذ أحد بجرم أحد، بيد أنه يتعلق ببعض الناس من بعض أحكام في مصالح الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعاون على البر والتقوى، وحماية النفس والأهل عن العذاب، كما قال تعالى: { قوا أنفسكم وأهليكم نارا }.

والأصل في ذلك كله أن المرء كما يفترض عليه أن يصلح نفسه باكتساب الخير فواجب عليه أن يصلح غيره بالأمر به والدعاء إليه والحمل عليه، وهذه فائدة الصحبة، وثمرة المعاشرة، وبركة المخالطة، وحسن المجاورة؛ فإن حسن في ذلك كله كان معافى في الدنيا والآخرة، وإن قصر في ذلك كله كان معاقبا في الدنيا والآخرة.اهـ([62])

ما جاء عن الحلال والحرام

من المعلوم أن الحلال بين والحرام بين كما قال نبينا -صلي الله عليه وسلم -" الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات "([63]) وعلي المسلم أن يتجنب ما يسخط عليه ربه وفي الحلال والطيبات الكثير مما يسعه ويغنيه عن الحرام إلا ما اضطر إليه اضطراراً وفي سورة الانعام آيات بينات في هذا الصدد نذكر منها:

قال تعالي {وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (١١٩)}

-قال ابن عربي في أحكامه – رحمه الله ما مختصره وبتصرف: قوله تعالى: { ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه } يعني: فمطلق سبب الآية الميتة، وهي التي قالوا هم فيها: ولا نأكل مما قتل الله. فقال الله لهم: لا تأكلوا منها؛ فإنكم لم تذكروا اسم الله عليها.

فإن قيل هذا هو السبب الذي خرجت عليه الآية، وقصر اللفظ الوارد على السبب المورود عليه إذا

٦١-انظر صحيح النسائي (٤٨٣٢)، وصحيح سنن أبي داود(٤٤٩٥) للألباني.

٦٢ -انظر أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي- (٣ /٤٨٦)

٦٣- أخرجه البخاري من حديث النعمان بن بشير -رضي الله عنه-برقم/٥٠- باب فضل من استبرأ لدينه

كان اللفظ مستقلا دون عطفه عليه لا يجوز لغة ولا حكما.
قلنا: قد آن أن نكشف لكم نكتة أصولية وقعت تفاريق في أقوال العلماء تلقفتها جملة من فك شديد؛ وذلك أنا نقول: مهما قلنا: إن اللفظ الوارد على سبب، هل يقصر عليه أم لا ؟ فإنا لا نخرج السبب عنه، بل نقره فيه، ونعطف به عليه، ولا نمتنع أن يضاف غيره إليه إذا احتمله اللفظ، أو قام عليه الدليل؛ فقوله: { ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه } ظاهر في تناول الميتة بعموم لفظه، وكونها سببا لوروده، ويدخل فيه ما ذكر اسم الله عليه اسم غير الله من الآلهة المبطلة بعموم أنه لم يذكر اسم الله عليه، وبزيادة ذكر غير الله عليه الذي يقتضي تحريمه هذا اللفظ عموما ومعناه تنبيها من طريق الأولى، ويقتضي تحريمه نصا قوله: { وما أهل لغير الله به }، فقد توارد على تحريم ذلك النص والعموم والتنبيه من طريق الأولى بالتحريم لظاهر أدلة الشرع عليه أولا.
ثم أضاف– رحمه الله–:
وقوله: { ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه } نهي محمول على التحريم، ولا يجوز حمله على الكراهة؛ لتناوله في بعض مقتضياته الحرام المحض، ولا يجوز أن يتبعض وهذا من نفيس علم الأصول.
وأما السنة فقوله صلى الله عليه وسلم في الصحاح: " ما أنهر الدم، وذكر اسم الله عليه فكل"([٦٤]).
وقال أيضا صلى الله عليه وسلم: " إذا أرسلت كلبك المعلم، وذكرت اسم الله عليه فكل "([٦٥]).
وقال أيضا صلى الله عليه وسلم: "وإن وجدت مع كلبك كلبا آخر فلا تأكل؛ فإنك إنما سميت على كلبك ولم تسم على الآخر "([٦٦]).اهـ([٦٧])

قال تعالي {قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ

٦٤ –جزء من حديث أخرجه البخاري من حديث رافع بن خديج–رضي الله عنه– برقم/ ٥٠٧٤– باب التسمية على الذبيحة ومن ترك متعمدا
٦٥ –أخرجه مسلم من حديث عدي بن حاتم برقم/ ٣٥٦٠– باب الصيد بالكلاب المعلمة
٦٦ – أخرجه البخاري من حديث عدي بن حاتم – رضي الله عنه–برقم/ ٥٠٥٤ – باب صيد المعراض– وتمام لفظه" سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المعراض فقال إذا أصبت بحده فكل فإذا أصاب بعرضه فقتل فإنه وقيذ فلا تأكل فقلت أرسل كلبي قال إذا أرسلت كلبك وسميت فكل قلت فإن أكل قال فلا تأكل فإنه لم يمسك عليك إنما أمسك على نفسه قلت أرسل كلبي فأجد معه كلبا آخر قال لا تأكل فإنك إنما سميت على كلبك ولم تسم على آخر "
٦٧ –انظر أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي– (٣/ ٤٥٠)

ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (١٤٠)}

–قال الجصاص مبيناً أحكامها: قوله تعالى: { قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله } قال قتادة: يعني البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي، تحريما من الشيطان في أموالهم وقال مجاهد والسدي: ما في بطون هذه الأنعام يعني بها الأجنة وقال غيرهم: " أراد بها الألبان والأجنة جميعا"} والخالص هو الذي يكون على معنى واحد لا يشوبه شيء من غيره كالذهب الخالص، ومنه إخلاص التوحيد وإخلاص العمل لله تعالى وإنما أنث خالصة على المبالغة في الصفة، كالعلامة والراوية، وقيل: على تأنيث المصدر، نحو العاقبة والعافية، ومنه: { بخالصة ذكرى الدار } وقيل: لتأنيث ما في بطونها من الأنعام، ويقال: فلان خالصة فلان وخلصانه.

وقوله تعالى: { وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء } يعني أجنة الأنعام إذا كانت ميتة استوى ذكرهم وأنثاهم فيها فأكلوها جميعا.اهـ ([٦٨])

–وزاد ابن عربي–رحمه الله– في أحكامه ما مختصره: عن ابن عباس أنه قال: من أراد أن يعلم جهل العرب فليقرأ ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الأنعام إلى قوله تعالى: { قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم }([٦٩]).

وهذا الذي قاله رضي الله عنه كلام صحيح، فإنها تصرفت بعقولها القاصرة في تنويع الحلال والحرام سفاهة بغير معرفة ولا عدل؛ والذي تصرفت بالجهل فيه من اتخاذ آلهة أعظم جهلا وأكبر جرما؛ فإن الاعتداء على الله أعظم من الاعتداء على المخلوقين.

والدليل على أن الله تعالى واحد في ذاته، واحد في صفاته، واحد في مخلوقاته أبين وأوضح من الدليل على أن هذا حلال، وهذا حرام.

وقد روي أن رجلا قال لعمرو بن العاص: إنكم على كمال عقولكم ووفور أحلامكم كنتم تعبدون الحجر

فقال عمرو: تلك عقول كادها باريها.

–وأضاف–رحمه الله– هذا الذي أخبر الله تعالى عنه من سخافة العرب وجهلها أمر أذهبه الله تعالى بالإسلام، وأبطله ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وكان من الظاهر لنا أن نميته حتى لا يظهر، وننساه حتى لا يذكر إلا أن ربنا تبارك وتعالى ذكره بنصه، وأورده بشرحه، كما ذكر كفر الكافرين

---

٦٨ –انظر أحكام القرآن للجصاص –(٢٣٣/٦)

٦٩ – أخرجه البخاري برقم / ٣٢٦٢– باب جهل العرب

به.

وكانت الحكمة في ذلك والله أعلم أن قضاءه قد سبق، وحكمه قد نفذ، بأن الكفر والتخليط لا ينقطعان إلى يوم القيامة، وقد قضى الله ألا يصد كافر عن ذكر الكفر، ولا مبتدع عن تغيير الدين، قصده ببيان الأدلة، ثم وفق من سبق له عنده الخير فيسر له معرفتها، فآمن وأطاع، وخذل من سبق له عنده الشر فصدفه عنها، فكفر وعصى ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن

بينة.اهـ(٧٠)

قال تعالى:{ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٤٣)}

-قال الجصاص في أحكامه: قوله تعالى: { ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين } إلى { الظالمين } قوله { ثمانية أزواج } بدل من قوله: { حمولة وفرشا } لدخوله في الإنشاء، كأنه قال: أنشأ ثمانية أزواج، فكل واحد من الأصناف الأربعة من ذكورها وإناثها يسمى زوجا، ويقال للاثنين زوج أيضا كما يقال للواحد خصم وللاثنين خصم، فأخبر الله تعالى أنه أحل لعباده هذه الأزواج الثمانية وأن المشركين حرموا منها ما حرموا من البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي وما جعلوه لشركائهم على ما بينه قبل ذلك بغير حجة ولا برهان ليضلوا الناس بغير علم، فقال: { نبئوني بعلم إن كنتم صادقين } ثم قال: { أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا } لأن طريق العلم إما المشاهدة أو الدليل الذي يشترك العقلاء في إدراك الحق به، فبان بعجزهم عن إقامة الدلالة من أحد هذين الوجهين بطلان قولهم في تحريم ما حرموا من ذلك.اهـ (٧١)

-وزاد ابن حجر -رحمه الله في فتح الباري فقال: وقال الفراء قوله: { قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين } يقول أجاءكم التحريم فيما حرمتم من السائبة والبحيرة والوصيلة والحام من قبل الذكرين أم من الأنثيين ؟ فإن قالوا من قبل الذكر لزم تحريم كل ذكر أو من قبل الأنثى فكذلك، وإن قالوا من قبل ما اشتمل عليه الرحم لزم تحريم الجميع لأن الرحم لا يشتمل إلا على ذكر أو أنثى، وقد تقدم في أخبار الجاهلية قول ابن عباس: إن سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ

---

٧٠ -انظر أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي- (٧ / ٩٠)

٧١ -انظر أحكام القرآن للجصاص -(٦ /٢٥١)

الثلاثين ومائة من سورة الأنعام، يعني الآيات المذكورة.اهـ([72])

قال تعالى:{قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤٥)}

في هذه الآية الكريمة أحكاماً وفوائد جليلة فيما يخص الحلال والحرام بينها علمائنا الثقات–رحمهم الله– نذكر منها:

–ما ذكر ابن تيمية– رحمه الله– من فائدة من مضمون الآية إجمالاً فقال: وأما المسلمون فلم يحرم عليهم إلا الخبائث كالدم المسفوح فأما غير المسفوح كالذي يكون في العروق فلم يحرمه بل ذكرت عائشة أنهم كانوا يضعون اللحم في القدر فيرون آثار الدم في القدر؛ ولهذا عفا جمهور الفقهاء عن الدم اليسير في البدن والثياب إذا كان غير مسفوح وإذا عفي عنه في الأكل ففي اللباس والحمل أولى أن يعفى عنه.اهـ

–ما ذكره السعدي– رحمه الله– بعد أن ذكر هذه الآية وما أشبهها:

دلت هذه الآيات الكريمات على أن الأصل في الأشياء الحل من طعام وشراب وغيرها؛ ولأن الله تعالى خلق لنا ما في الأرض جميعا ننتفع به بكل وجوه الانتفاعات، من أكل وشرب واستعمال، وفصل لنا ما حرم علينا، فما لم يذكر في الكتاب والسنة تحريمه فهو حلال، وأباح لنا كل طيب، حرم علينا كل خبيث.

فمن الخبائث المحرمة الميتة – سوى ميتة الجراد والسمك – وهي ما مات حتف أنفه أو ذكي ذكاة غير شرعية، والدم المسفوح كما قيدته الآية الأخرى، وأما الدم الذي يبقى في اللحم والعروق بعد الذبح فإنه طيب حلال {وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ} [المائدة: ٣] بأن ذبح لغير الله من أصنام وملائكة أو إنس أو جن أو غيرها من المخلوقات.

ومن الخبائث كل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير كما صح بذلك الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم.

---

[72] – انظر شرح فتح الباري شرح صحيح البخاري(٩٥/١٣)–باب قوله {إن تعذبهم فإنهم عبادك }

ومن الميتة {وَالْمُنْخَنِقَةُ} [المائدة: ٣] أي: التي تخنق بالحبال أو غيرها، أو تختنق فتموت، {وَالْمَوْقُوذَةُ} [المائدة: ٣] وهي التي تضرب بالحصى أو بالعصا حتى تموت، ومن هذا إذا رمى صيدا فأصاب الصيد بعرضه فقتله، {وَالْمُتَرَدِّيَةُ} [المائدة: ٣] وهي التي تسقط من موضع عال كسطح وجبل فتموت، {وَالنَّطِيحَةُ} [المائدة: ٣] التي تنطحها غيرها فتموت بذلك، وما أكله ذئب أو غيره من السباع، وكل هذه المذكورات إذا لم تدرك ذكاتها، فإن أدركها حية فذكاها حلت؛ لقوله: {إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ} [المائدة: ٣] وسواء غلب على الظن بقاؤه أو تلفه إذا لم يُذَكّ أم لا.

ومن المحرمات الحشرات وخشاش الأرض من فأرة وحية ووزغ، ونحوها من المستخبثة شرعا وطبا.

ومن المحرمات ما ذكي ذكاة غير شرعية، إما أن الذابح غير مسلم ولا كتابي، وإما أن يذبحها في غير محل الذبح وهي مقدور عليها، وإما أن لا يقطع حلقومها ومريها، وإما أن يذبحها بغير ما ينهر الدم أو بعظم أو ظفر، وما أمر الشارع بقتله أو نهى عن قتله دل على تحريمه وخبثه. وكل هذه الأشياء تحريمها في حال السعة، وأما إذا اضطر إليها غير باغ لأكلها قبل أن يضطر، ولا متعد إلى الحرام، وهو يقدر على الحلال، فإنه إذا اضطر إليها غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم، من رحمته أباح المحرمات في حال الضرورة.اهـ([٧٣])

-وذكر ابن رجب-رحمه الله-في أحكامها ما نصه:{ قل لا أجد في ما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة } ، فإن هذا يدل على أن ما لم يجد تحريمه، فليس بمحرم، وكذلك قوله: { وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه }، فعنفهم على ترك الأكل مما ذكر اسم الله عليه، معللا بأنه قد بين لهم الحرام، وهذا ليس منه، فدل على أن الأشياء على الإباحة، وإلا لما ألحق اللوم بمن امتنع من الأكل مما لم ينص له على حله بمجرد كونه لم ينص على تحريمه.

واعلم أن هذه المسألة غير مسألة حكم الأعيان قبل ورود الشرع: هل هو الحظر أو الإباحة، أو لا حكم فيها ؟ فإن تلك المسألة مفروضة فيما قبل ورود الشرع، فأما بعد وروده فقد دلت هذه النصوص وأشباهها على أن حكم ذلك الأصل زال واستقر أن الأصل في الأشياء الإباحة بأدلة الشرع. وقد حكى بعضهم الإجماع على ذلك، وغلطوا من سوى بين المسألتين، وجعل حكمهما واحدا.اهـ([٧٤])

---

٧٣ - انظر تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن لعبد الرحمن السعدي (ص/١٦١)

٧٤ -انظر جامع العلوم والحكم بشرح خمسين حديثا لابن رجب الحنبلي –شرح الحديث الثلاثون

قال تعالي:{وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (١٤٦)}

-قال ابن عربي-رحمه الله- في احكامه ما مختصره وبتصرف:

قوله: { وعلى الذين هادوا حرمنا } فيها أربعة أقوال: الأول: هادوا: تابوا. هاد يهود: تاب. الثاني: هاد: إذا سكن. الثالث: هاد: فتر. الرابع: هاد: دخل في اليهودية.

وقد قيل في قوله تعالى: { كونوا هودا } أي يهودا.

ثم حذف الياء. فأما من قال: إنه التائب يشهد له قوله: { إنا هدنا إليك } أي تبنا، وكل تائب إلى ربه: ساكن إليه فاتر عن معصيته. وهذا معنى متقارب.

وأضاف- رحمه الله-: أخبر الله سبحانه وتعالى في قوله: { كل ذي ظفر } يعني ما ليس بمنفرج الأصابع، كالإبل والنعام والإوز والبط؛ قال ابن عباس، وسعيد بن جبير، ويدخل في ذلك ما يصيد بظفره: من سباع الطير والكلاب.

والحوايا: واحدها حاوياء أو حوية، وهي عند العلماء على ثلاثة أقوال: الأول: المباعر. الثاني: أنها خزائن اللبن. الثالث: أنها الأمعاء التي عليها الشحوم.

ثم قال- رحمه الله-: أخبر الله سبحانه وتعالى أنه كتب عليهم تحريم هذا في التوراة، وقد نسخ الله ذلك كله بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم وأباح لهم ما كان محرما عليهم؛ عقوبة لهم على طريق التشديد في التكليف لعظيم الحرم، وزوال الحرج بمحمد صلى الله عليه وسلم وأمته، وألزم جميع الخليقة دين الإسلام بحله وحرمه، وأمره ونهيه؛ فإذا ذبحوا أنعامهم فأكلوا ما أحل الله في التوراة، وتركوا ما حرم، فهل يحل لنا ؟ أجاب — رحمه الله-:والصحيح أكلها؛ لأن الله رفع ذلك التحريم بالإسلام.

فإن قيل: فقد بقي اعتقادهم فيه عند الذكاة. قلنا: هذا لا يؤثر؛ لأنه اعتقاد فاسد.

ثم بين- رحمه الله -حكماً آخر من الآية فقال: فلو ذبحوا كل ذي ظفر؛ فقال أصبغ: كل ما كان محرما في كتاب الله من ذبائحهم فلا يحل أكله.

وقاله أشهب وابن القاسم وأجازه ابن وهب، والصحيح تحريمه؛ لأن ذبحه منهم ليس بذكاة.

وختم- رحمه الله- أحكامه من الآية فقال:قوله تعالى: { ذلك جزيناهم ببغيهم } دليل على أن

التحريم إنما يكون عن ذنب؛ لأنه ضيق فلا يعدل عن السعة إليه إلا عند الموجدة.اهـ([٧٥])

---

٧٥ -انظر أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي- (٣ /٤٨٠)

قال تعالى:{قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١)}

هذه الآية الكريمة فيها من الفوائد والاحكام ما ينبغي أن يعقلها العاقلون نبينها فيما يلي:

-قوله تعالي { قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا }

-قال الجصاص-رحمه الله- في أحكامه عن البر بالوالدين في هذه الآية وما في حكمها: فقرن تعالى ذكره إلزام بر الوالدين بعبادته وتوحيده وأمر به كما أمر بهما، كما قرن شكرهما بشكره في قوله تعالى: { أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير }، وكفى بذلك دلالة على تعظيم حقهما ووجوب برهما والإحسان إليهما

وقال تعالى: { ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما } إلى آخر القصة وقال تعالى: { ووصينا الإنسان بوالديه حسنا }.

وقال في الوالدين الكافرين: { وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا }.

ثم أضاف- رحمه الله-:

قال أبو بكر: فطاعة الوالدين واجبة في المعروف لا في معصية الله، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.اهـ [٧٦]

قوله تعالي{وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ }

قال الجصاص-رحمه الله- في أحكامه ما نصه: كانت العرب تدفن أولادها أحياء البنات منهن خوف الإملاق، وهو الإفلاس؛ ومنه حديث النبي صلى الله عليه وسلم " أعظم الذنوب أن تجعل لله ندا وهو خلقك، وأن تقتل ولدك خشية أن تأكل معك، وأن تزني بحليلة جارك" ([٧٧]).

} وهي الموءودة التي ذكرها الله تعالى في قوله: { وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت } فنهاهم الله عن ذلك مع ذكر السبب الذي كانوا من أجله يقتلونهم، وأخبر أنه رازقهم ورازق أولادهم.اهـ

---

٧٦ -انظر أحكام القرآن للجصاص -(٤ /٣٩٧)

٧٧- انظر صحيح أبي داود (٢٠٠٠) ،وصحيح الإرواء (٢٣٣٧) للألباني

-قوله تعالي { وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ }

-قال الشنقيطي-رحمه الله مبيناً أحكام وفوائد هذه الجزئية من الآية وما في حكمها ما مختصره: حرم الله الزنا في كتابه، فقال سبحانه وتعالى: { وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا } [الإسراء:٣٢]، وعند العلماء أن النهي عن القربان من صيغ التحريم، كقوله: { وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ } [الأنعام:١٥١]، فالنهي عن القربان من صيغ التحريم، بل هو من أبلغ الصيغ في التحريم؛ لأن الله لم يقل: ولا تزنوا، وإنما قال: { وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى } [الإسراء:٣٢]، فنهانا عن القرب من الزنا فضلاً عن فعل الزنا، قال العلماء: وهذا من باب التنبيه بالأدنى على ما هو أعلى منه، ومن القرب من الزنا: مجالسة النساء الأجانب، ومضاحكتهن، ومغازلتهن، ولمس الأجنبية، وإغراؤها بالفاحشة، فهذا كله من قربان الزنا، وهو يوصل إلى الزنا، وأشار إلى هذا المعنى ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (اليد تزني وزناها اللمس، والرجل تزني وزناها المشي، والعين تزني وزناها النظر، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه)، فبين عليه الصلاة والسلام أن هذه كلها وسائل للزنا، ومن هنا جعل العلماء في الزنا مقصداً وغاية، ووسيلة إلى المقصد والغاية، فالزنا هو المقصد المحرم، وهو وطء المرأة الأجنبية، والوسيلة إلى الزنا مثل أن يحادثها وهي أجنبية عنه، أو يغازلها، أو يلمسها، أو ينظر إليها وإلى مفاتنها، أو تبرز مفاتنها، وكل هذا إغراء بالفاحشة ووسيلة للحرام، وقالوا: الوسائل إلى الحرام تأخذ حكم الحرام، والوسائل إلى الكبائر كالكبائر نفسها، فالوسائل تتفاضل بتفاضل مقاصدها، فوسيلة الشرك أعظم الوسائل قبحاً وجرماً عند الله عز وجل، وما دونه من وسائل الذنوب آخذة حكمه على حسب درجات ذلك الذنب.

ومن أدلة تحريم الزنا في القرآن قوله تعالى: { وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ)[الفرقان:٦٨]، فبين سبحانه وتعالى أن من صفات أهل الجنة أنهم لا يزنون، وهذا يدل على حرمة الزنا؛ ولذلك قرنه الله بالشرك وقتل النفس.

ومن أدلة التحريم أن الله عز وجل رتب العقوبة عليه، فقال سبحانه وتعالى: { الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ } [النور:٢]، فرتب العقوبة على فعله، وعند العلماء قاعدة وهي: ترتيب العقوبة على الفعل أو الترك دالٌ على حرمة ذلك الفعل أو الترك، وهذا أصل عند العلماء

٧٨ -انظر أحكام القرآن للجصاص -(٢٧٨/٦)

رحمهم الله، فلا تترتب العقوبة إلا على ترك واجبٍ أو فعل محرم.اهـ([79])

-قوله تعالي { وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ }
قال الجصاص-رحمه الله-في أحكامه ما نصه: قال أبو بكر: روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله "([80]).
ولما أراد أبو بكر قتال مانعي الزكاة قالوا له: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال ": أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها " فقال أبو بكر: هذا من حقها، لو منعوني عقالا مما كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه"([81]).
وقال النبي صلى الله عليه وسلم: " لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث زنا بعد إحصان وكفر بعد إيمان وقتل نفس بغير نفس"([82]) وهذا عندنا ممن يستحق القتل ويتقرر عليه حكمه وقد يجب قتل غير هؤلاء على وجه الدفع، مثل قتل الخوارج ومن قصد قتل رجل وأخذ ماله فيجوز قتله على جهة المنع من ذلك؛ لأنه لو كف عن ذلك لم يستحق القتل.اهـ ([83])

قال تعالي:{وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢)}
ومن فوائد وأحكام هذه الآية نبينها فيما يلي:
-قوله تعالي { وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ }

---

٧٩ -- انظر شرح زاد بالمستنقع لمحمد المختار الشنقيطي-دروس صوتية مفرغة- المصدر موقع الشبكة الإسلامية- درس رقم/ ٣٧٤
٨٠ - أخرجه البخاري برقم/١٤٩- باب فضل استقبال القبلة يستقبل بأطراف رجليه
٨١ - أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه-برقم/ ١٣١٢- باب وجوب الزكاة
٨٢ - انظر حديث رقم: ٧٦٤١ في صحيح الجامع .
٨٣ -انظر أحكام القرآن للجصاص -(٦ / ٢٨٠)

-قال الكيا هراسي-رحمه الله-في أحكامه: إنما خص اليتيم بالذكر فيما أمرنا به من ذلك، لعجزه عن الانتصار لنفسه، وتأكد الأطماع في ماله، فلا جرم أكد النهي عن أخذ ماله بتخصيصه بالذكر.

وقوله تعالى: (إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ): يدل على أن للوصي أن يدفع مال اليتيم مضاربة. وجعل المرد بلوغ الأشد، وذلك هو البلوغ.

لأن الأشد والكمال لا يعرف إلا بوجود الحد الشرعي وهو البلوغ.

وأبو حنيفة يقول: بلوغ الأشد: بلوغ خمس وعشرين سنة، وهذا تحكم منه لا وجه له. ولا دليل عليه لا لغة ولا شرعا.اهـ([٨٤])

-قوله تعالي { وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا }

-قال الجصاص —رحمه الله-في أحكامه: فيه أمر بإيفاء الحقوق على الكمال؛ ولما كان الكيل والوزن يتعذر فيهما التحديد بأقل القليل علمنا أنه لم يكلفنا ذلك وإنما كلفنا الاجتهاد في التحري دون حقيقة الكيل والوزن، وهذا أصل في جواز الاجتهاد في الأحكام وأن كل مجتهد مصيب وإن كانت الحقيقة المطلوبة بالاجتهاد واحدة؛ لأنا قد علمنا أن للمقدار المطلوب من الكيل حقيقة معلومة عند الله تعالى قد أمرنا بتحريها والاجتهاد فيها ولم يكلفنا إصابتها؛ إذ لم يجعل لنا دليلا عليها، فكان كل ما أدانا إليه اجتهادنا من ذلك فهو الحكم الذي تعبدنا به.

وقد يجوز أن يكون ذلك قاصرا عن تلك الحقيقة أو زائدا عليها، ولكنه لما لم يجعل لنا سبيلا إليها أسقط حكمها عنا.

ويدلك على أن تلك الحقيقة المطلوبة غير مدركة يقينا أنه قد يكال أو يوزن ثم يعاد عليه الكيل أو الوزن فيزيد أو ينقص لا سيما فيما كثر مقداره؛ ولذلك قال الله تعالى: { لا يكلف الله نفسا إلا وسعها } في هذا الموضع، يعني أنه ليس عليه أكثر مما يتحراه باجتهاده..اهـ ([٨٥])

-قوله تعالي { وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى }

من فوائد هذه الآية وما في حكمها عن العدل عموماً ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية قال: وأما

---

٨٤ -انظر أحكام القرآن للكيا الهراسي(١٢٨/٣)-الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت

٨٥ -انظر أحكام القرآن للجصاص -(٦ /٢٨٣)

باب العدل فقد قال تعالى: { وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى } وقال تعالى: { كونوا قوامين بالقسط شهداء لله } الآية وقال: { كونوا قوامين لله شهداء بالقسط } وقال: { شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم } { وأشهدوا ذوي عدل منكم } فهذا العدل والقسط في هذه المواضع هو الصدق المبين وضده الكذب والكتمان. وذلك أن العدل هو الذي يخبر بالأمر على ما هو عليه لا يزيد فيكون كاذبا ولا ينقص فيكون كاتما والخبر مطابق للمخبر كما تطابق الصورة العلمية والذهنية للحقيقة الخارجية ويطابق اللفظ للعلم ويطابق الرسم للفظ. فإذا كان العلم يعدل المعلوم لا يزيد ولا ينقص والقول يعدل العلم لا يزيد ولا ينقص والرسم يعدل القول: كان ذلك عدلا والقائم به قائم بالقسط وشاهد بالقسط وصاحبه ذو عدل. ومن زاد فهو كاذب ومن نقص فهو كاتم ثم قد يكون عمدا وقد يكون خطأ فتدبر هذا فإنه عظيم نافع جدا.اهـ([٨٦])

-وأضاف الجصاص- رحمه الله- في أحكامه ما مختصره: { وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى } قد انتظم ذلك تحري الصدق وعدل القول في الشهادات والأخبار والحكم بين الناس والتسوية بين القريب والبعيد فيه، وهو نظير قوله تعالى: { كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا }.

وقد انتظم قوله: { وإذا قلتم فاعدلوا } مصالح الدنيا والآخرة؛ لأن من تحرى صدق القول في العدل فهو أن يتحرى العدل في الفعل أحرى، ومن كان بهذه الصفة فقد حاز خير الدنيا والآخرة؛ نسأل الله حسن التوفيق لذلك.اهـ ([٨٧])

تم بحمد الله بيان فوائد وأحكام سورة الأنعام

---

٨٦ - انظر مجموع الفتاوي لابن تيمية (٨٤/٢٠)-نشر دار الوفاء

٨٧ -انظر أحكام القرآن للجصاص -(٢٨٤/٦)